المكتبات في المدينة المنورة
في العصر المملوكي

إعداد

د. آمنة بنت حسين محمد علي جلال

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

قسم التاريخ والحضارة

جامعة أم القرى

المكتبات في المدينة المنورة في العصر المملوكي

ملخص البحث:

تتضح أهمية الكتب ودورها الذي لعبته في إثراء الحركة العلمية في العصر المملوكي عن طريق إنشاء خزائن الكتب التي تحتوي على الكثير من الكتب في مختلف العلوم والفنون ، وما لها من أهمية في تعليم أجيال الأمة الإسلامية ، كما كان لها دور في تنوع المعرفة وتطورها من قبل المدرسين والدارسين ، كما ساهم الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء الأجلاء ممن اشتغل بمعاينة الكتب ونسخها واختبارها في إثراء الحياة العلمية ، وبذلك يتضح مدى اهتمام علماء المسلمين وأمرائهم وسلاطينهم بتوفير خزائن الكتب وما تحتويه من كتب نفيسة في مختلف فنون العلم ؛ ولذلك خصصت الأوقاف الكثيرة التي تدر الأموال لاستمرار هذه المكتبات على أداء دورها ورسالتها لمنسوبي هذه المؤسسات التعليمية من أساتذة وطلبة ومجاورين ووافدين ، كما أدرك القائمون على هذه المكتبات أهمية المكتبة وأثرها في حياة العلماء وطلبة العلم ، كما أن المكتبات كانت مناخاً خصباً للكثير من المؤلفين لتأليف كتبهم.

Libraries in Madina Munawwara
During the Mamlouki Era

648- 923 H.

By:

Dr. Amna Husain Muhammad Ali Jalal

Associate Professor of Islamic History
Department of History and Islamic Civilization
Umm Al-Qura University

This paper shows the important role that books have played in enriching the scientific movement during the Mamlouki Era, by establishing book-stores that contain innumerable books in various sciences and arts. It contributed greatly to the education of Muslim generations, learners as well as educators. A lot of revered scientists, Mullahs, and men of letters whose major concern was investigating, copying, and testing books for their value in developing and enhancing scientific life, which reflects the interest of Muslim scholars, princes, and Sultans, by providing libraries that have precious books in various fields of study. Therefore, the outcome of the prolific, fruitful endowments was devoted to ensure the continuity of these libraries accomplishing its mission towards its people, whether scholars or students, neighbors or newcomer. The people in charge have also realized the impact of these libraries on writers by providing the right environment for them to write their books.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ليس من شك أن مكتبات الحجاز بوجه عام ، والمدينة المنورة بوجه خاص تشكل جانباً له أهميته في تاريخ المكتبات الإسلامية في العصور الوسطى وبخاصة إذا ما وضعنا في أذهاننا ما قاله بعض الباحثين من أبناء الغرب الأوروبي أمثال " طومبسون " " Thompson " في كتابه عن المكتبات في العصور الوسطى من أن الشرق الإسلامي قد تخرب وأنهار بسبب غزوات المغول في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي [١] ، كما أن المغول قضوا على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م والتي استمرت قائمة أكثر من خمسة قرون ببغداد الغنية بعلمائها وأدبائها وفلاسفتها وشعرائها ، فلما حلت النكبة ببغداد أصيبت حضارتها بالضرر البالغ وأحرقت مكتباتها وخربت معاهدها ومدارسها ، وكان حقاً جناية كبيرة على الحضارة والثقافة بوجه عام والمكتبات بوجه خاص [٢] .

وفي عام ٦٥٨هـ/١٢٥٩م كانت موقعة عين جالوت حيث التقى جيش المغول بجيوش المماليك الذين كتب الله لهم النصر المبين على أعدائهم ، وانهزم المغول شر هزيمة منكرة [٣] ، الأمر الذي لاشك فيه أن جعلت سلطنة القوة الأساسية في الشرق الأدنى حيث دفعت الخطر المغولي ثم الخطر الصليبي الذي كان جاشماً على أرض الشام وطرده عام ٦٩١هـ/١٢٩٦م ، كما عملت على المحافظة على التراث العربي المجيد والحضارة الإسلامية حيث اهتم كثير من سلاطين وأمراء المماليك وغيرهم من رجال ذلك العصر الممتازين في ثقافتهم والمشهورين بحب الخير بالكتب وفنونها والمكتبات وإدارتها [٤] ، كما تحدثت عن بعض كتب الفقهاء المعاصرين لهذه الفترة عن الكتب باعتبارها آلة العلم وما يجب عمله فيما يتعلق بتصحيحها وضبطها وحملها وترتيبها وشرائها وإعارتها ونسخها وغير ذلك من أمور تدل دلالة واضحة على أنه كانت هناك نهضة مكتبية علمية عظيمة الشأن [٥] . ولقد حدد المعلمون لخزنة هذه المكتبات وأمنائها حدوداً

يسيرون عليها للمحافظة على ما تحت أيديهم من الكتب وتجليدها وترميمها وتقديمها للمستعيرين ، وشروط الإعارة لمن يستحقونها دون غيرهم [٦] .

ومن يدرس عصر سلاطين المماليك يلاحظ أنه تميز بنشاط وازدهار الحياة العلمية ، كما يلاحظ أن الركن الأول في النشاط العلمي في أي زمان ومكان هو الكتب والمكتبات ، فبدون الكتب والمكتبات لا تستطيع المؤسسات الثقافية المتنوعة أن تؤدي مهمتها ولا يستطيع المتعلمون والمعلمون أن يواصلوا رسالتهم . لذلك لا عجب إذا شهد عصر سلاطين المماليك نشاطاً منقطع النظير في التأليف من ناحية وفي جمع الكتب وإنشاء المكتبات والعناية بها من ناحية ثانية .

وكان سلاطين المماليك أنفسهم أول من قدر أهمية الكتب فاحتفظوا في قلعة الجبل بخزانة كتب جليلة القدر حوت مجموعة ضخمة من الكتب الدينية وغير الدينية [٧] ، كما زودوا جميع المؤسسات التعليمية التي تنسب إليهم في معظم المدن التي خضعت لهم في مصر والشام والحجاز بمكتبات في مكة المكرمة والمدينة المنورة مظهر أساسي من مظاهر الحياة الروحية فيهما [٨] .

يضاف إلى هذا أن المكتبات في العصر المملوكي ارتبطت أشد الارتباط بالتعليم وفلسفته ، تلك الفلسفة التي جعلت من المكتبات محوراً للنشاط التعليمي بل للتعلم كذلك وتحصيل العلم بالبحث والدراسة في الكتب نفسها والفعل مما تحويه من مادة علمية ثمينة عظيمة القدر . إذ تذكر إحدى وثائق العصر المملوكي أن مهمة الأستاذ هي " أن يسهل على الطلبة الفهم ويحثهم على الاشتغال بالعلم الشريف " وفي وثيقة أخرى جاء فيها ما نصه : " ... يبين الشيخ لكل منهم ما يشكل عليه فهمه من كشف غامض وحل مشكل ويسهل عليه ما عسر فهمه له ويسلك بهم مسلك الرفادة والتعليم ويحثهم على الاشتغال بالعلم الشريف " ومن هذه النصين وغيرهما يتضح لنا أهمية المكتبات والدور الكبير الذي قامت به في تحصيل العلم [٩] ، بل إنها ساهمت مساهمة كبيرة في خلق أجيال من العلماء في العصر المملوكي ، ووفرت لهم الكتب والمراجع النفيسة في وقت لم تعرف فيه الطباعة الحديثة وكانت الوسيلة الوحيدة للحصول على نسخة من كتاب هي إعادة نسخة

بخط اليد ، مما جعل الكتاب نادر الوجود ، وإذا وجد فإنه يكون باهظ الثمن ، ومن هنا تبدو أهمية المكتبات في تيسير الحصول على الكتاب سواء للاطلاع أو النسخ أو المقابلة [١٠] .

وهكذا كانت المكتبات المملوكية بكتبها الكثيرة وسيلة جيدة ووحده وظيفية لغايات تعليمية ، وقوة واقعة وإيجابية في حياة المثقفين ، وأدت وظيفتها على أتم وأكمل وجه لتحقيق فلسفة التعليم بشكل لا يمكن إنكاره ، فهي إحدى الوسائل الهامة التي عملت على تقريب الأفكار وإيجاد التجانس والتعاطف الاجتماعي بين الطلاب المسلمين والعرب الوافدين من مختلف بقاع الأرض ، ومدت لهم يد العون والمساعدة لأن المكتبات حين أنشئت كان هدفها نشر العلم والخير والحق وإحياء الشرع ، ودوام ظهور الحق وخمول الباطل ودام خير الأمة الإسلامية بكثرة علمائها [١١] وحفظ التراث العربي والحضارة الإسلامية وكانت محوراً للتعليم الرسمي والحر على السواء في أثناء الدروس وبعدها عن طريق القراءة والبحث والدراسة ، والواقع أن نشاط المكتبات المملوكية كان واسعاً وعظيماً رغم قلة عدد المتعلمين بالمقارنة إلى عصرنا الحالي وعدم معرفة الطباعة في ذلك العصر ، إذ كانت الكتب كلها مخطوطة والكثير منها نادر .

وإذا كان سلاطين المماليك قد اهتموا بعمارة القلاع والحصون والأبراج الحربية وشحنها بالذخيرة والعتاد ، فإن المكتبات أو خزانات الكتب حسب مصطلح ذلك العصر – في مدارسهم وزواياهم ومساجدهم ودورهم كانت تزخر بالكتب والمخطوطات والمصاحف والربعات الشريفة ، ومما لاشك فيه إن أي مؤسسة تعليمية في العصر المملوكي بدون مكتبة " خزانة كتب " كنت أشبه بقلعة حربية بدون ذخيرة [١٢] . ولا جدال في أن ذلك العصر المملوكي كان عصر النهضة المكتبية في تاريخ الوطن العربي وتشهد بذلك كثرة المكتبات التي زخرت بها المساجد والمدارس والربط والزوايا وبيوت العلماء في كل المدن التي خضعت للحكم المملوكي بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص ، وبالتالي كان عصر

التأليف العلمي الذي أمدنا بموسوعات وذخائر هي أجل ما أنتج العقل الإسلامي على طول التاريخ وعرضه [١٣] .

وفي الحقيقة أن مكتبات الحجاز بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص كانت قد وصلت إلى درجة مثلى في ذلك العصر بما حوته من ذخائر الكتب ونفائسها بحيث كان أبناء البلاد المجاورة يقصدونها للحصول منها على تلك الذخائر وإن كانت كثير من المصادر التي بين أيدينا قد ضنت علينا بما يمكننا من جلاء هذه النقطة إلا أنه قد وردت إشارة في مصر قريب من هذا العصر ترجح ما أشرنا إليه وهي أنه في عام ٩٠٠هـ/١٤٩٤م كلف حاكم اليمن السلطان عامر أحد أتباعه عند توجهه إلى بلاد الحجاز أن يشتري له كتاب " بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م) " في فقه الشافعية وهو أربعة وعشرون مجلداً [١٤] وفي موضع آخر يشير نفس المصدر إلى أن مكتبات الحجاز بوجه عام كانت تحوي من الكتب أنفسها للكثير من مشاهير علماء المسلمين في شتى الأقطار ، وأنه كان يقصدها الناس في مواسم الحج للحصول على هذه الذخائر ، ففي شهر صفر من نفس العام رجع أحد أعيان تجار اليمن من بلاد الحجاز إلى مدينة زبيد ومعه كتاب " فتح الباري في شرح صحيح البخاري " للعلامة ابن حجر رحمه الله ، وهو أول دخوله إلى الديار اليمنية وهو من أعجب شروح الصحيح ، بالإضافة إلى غير ذلك من مؤلفات مشاهير ذلك العصر [١٥] .

وفي هذا دليل كاف على أن بلاد الحجاز وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة كانتا من أم المراكز الثقافية التي يتجمع فيها حشد كبير من مؤلفات مشاهير علماء ذلك العصر ، بل إن المدينة المنورة في العصر المملوكي قد شهدت بعضاً من أولئك المشاهير وهم يجاورون بها ، ويتخذون منها مقراً ومقاماً يدونون ما تجود به قرائحهم من أعمال على درجة كبيرة من الأهمية نذكر منهم على سبيل المثال المؤرخ الشهير " السخاوي " الذي ألف كتاباً في تاريخ المدينة أسماه " التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة " أثناء تواجده بها ، وكان الشروع في تبيضه والرجوع لتهذيبها وتنهيضه حين كوني بطيبة الشريفة " وفي موضع آخر يؤكد لنا أن

علماء الحجاز وبوجه خاص علماء المدينة المنورة ومكة المكرمة كانوا على إطلاع دائم بأحدث ما تنتجه قرائح مشاهير علماء ذلك العصر ، فنراه يقول أن مؤرخ المدينة السيد العلامة السمهودي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) كتب إلى مؤرخ مكة الشهير العز ابن فهد يعرفه بهذا المؤلف الهام في تاريخ المدينة ويحرضه على ضرورة الإطلاع عليه واقتنائه كلما أمكن ذلك [١٦] .

وهكذا يتضح لنا مدى حرص علماء المدينة المنورة ومكة المكرمة على الوقوف على كل ما هو جديد ، في ميدان التأليف ، وربما قال قائل أن هذا كان سهلاً وممكناً بالنسبة لعلماء مصر والشام ، لكن ما هو الحال بالنسبة لعلماء المغرب العربي والذين باعدت الشقة بينهم وبين علماء الحجاز ، وللرد على هذا الاستفسار نقول أنه كانت نسبة لا يستهان بها من المشتغلين بالأسفار في تلك العصور جمعوا بين حياة العلم وحياة التجارة ، بمعنى أن رحلتهم كانت في طلب العلم والتجارة معاً ولم يكن هناك ما يمنع أن يكون التاجر فقيهاً أو محدثاً ، أو مقرئاً ، أو مفسراً أو العكس صحيح ، وفي عصور لم تكن معروفة ما نعرفه اليوم من وسائل الإعلام ، كانت الأخبار والمعارف والكتب تُنقل جميعاً بصحبة التجار [١٧] . وفي ظل حضارة غلب عليها طابع الإيمان ، وارتبط العلم فيها أساساً بالعلوم الدينية حرص كثير من التجار الركاضين أي غير المقيمين والمتنقلين من مكان لآخر على انتهاز الفرصة لتجوالهم ومرورهم بعدد من المدن ومراكز العلم والمعرفة للتزود بقدر من العلوم يحقق لهم صلاح الدنيا والآخرة . وقد وصل بعض هؤلاء التجار إلى مصاف كبار العلماء المعاصرين بحيث لا يكاد أحدهم يصل إلى بلد من بلاد الإسلام إلا ويلتف حوله تجار ذلك البلد من ناحية ، وعلماؤه من ناحية أخرى ، الفريق الأول يشترون منه ويبيعون له ، والفريق الثاني يسمعون منه ويتحدثون إليه ، ولدينا العديد من الأمثلة على هؤلاء التجار في الفترة التي نحن بصددها [١٨] وفي مثل هذا الالتقاء الثقافي كان يتم التعرف على ما في جعبة هؤلاء من كتب دونتها أقلام علماء كثير من المدن المغربية وغيرها ، ولا نستبعد أن يكون النساخون قد قاموا بنسخ الكثير منها على حساب من يطلبها منهم .

كذلك يشير الرحالة المغربي ابن يوسف التجيبي الذي زار المدينة المنورة عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م إلى أن علماء الحجاز بوجه عام كانت لهم مراسلات خاصة مع كبار ومشاهير علماء ذلك العصر في كل بقاع العالم الإسلامي وأن هذه المراسلات كانت دائمة ومستمرة يصفون لهم فيها مدى ازدهار الحياة الثقافية في الحجاز ، ويتعرفون من خلالها على أهم أعمالهم ومؤلفاتهم ، بل أن كثيراً من المؤلفات كانت تصلهم باستمرار بواسطة من يفد من هذه البقاع المختلفة إلى الحجاز في مواسم الحج والعمرة سنوياً [١٩] بل إنه نفسه كان يحمل في جعبته كثيراً من كتبه التي اطلع عليها ممن قابلهم من علماء الحجاز أثناء رحلته ، وبذلك كانت هذه المراسلات والمكاتبات تشكل رباط ثقافياً وفكرياً بين هؤلاء العلماء ساعد على ازدهار الحياة العلمية في الحجاز في ذلك العصر بوجه عام وفي مجال الكتب والمكتبات بوجه خاص ، وما دمنا قد وصلنا إلى هذا الحد فيجدر بنا أن نتحدث عن مكتبات المدينة المنورة في ذلك العصر ويأتي في مقدمة المكتبات بها .

١- خزائن الكتب في المسجد النبوي الشريف :

كانت خزائن الكتب في المسجد النبوي الشريف من أهم الخزائن في بلاد الحجاز لما كانت تحتويه من كنوز المعرفة بالرغم من ضياع الكثير منها بالحريق وغيره ، هذه الخزائن أو المكتبة يرجع تاريخها إلى فترة متقدمة على العصر المملوكي ، فيشير الرحالة ابن جبير الذي زارها عام ٥٨١هـ إلى ضخامة هذه المكتبة فيقول أنه شاهد في المسجد النبوي الشريف خزانتين كبيرتين محتويتين على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك [٢٠] . كذلك يشير الرحالة المغربي ابن رشيد الذي زار المدينة المنورة أثناء رحلة الحج التي قام بها سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وهو العام الذي شهد قيام دولة سلاطين المماليك في مصر ، ويصرح أن خزانة الكتب في المسجد النبوي الشريف كانت حافلة بكثير من أنواع الكتب وبخاصة الكتب الدينية منها ، كما يشير إلى تعداد خزائن الكتب داخل الحرم النبوي الشريف وأنه تم تخصيص خزانة لوضع المصحف الشريف هذه الخزانة عند موضع سجود رسول الله ﷺ ، ويقصد بذلك المحراب النبوي الشريف [٢١] . كما

تشير أحد المصادر أيضاً إلى أنه كانت هناك قبة في صحن الحرم النبوي الشريف تم بناؤها سنة ٧٦٠هـ/١١٧٩م لتكون خزانة يحفظ فيها حواصل الحرم وذخائره ، مثل المصحف الكريم العثماني وعدة صناديق كبار مليئة بنوادر الكتب ، ولما احترق المسجد النبوي الشريف سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م صان الله تعالى هذه الخزانة وما بها من مصاحف وكتب نادرة [٢٢] . ومما يدل على تعدد خزائن الكتب في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة في ذلك العصر ، وتنوعها في نفس الوقت ما أشار إليه الرحالة ابن رشيد كذلك من قول : " قرأت مكتوباً في وجه الخزانة الكريمة التي تقابل المتوجه إلى الروضة الكريمة وهي التي يضع الناس فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه ﷺ هذين البيتين مكتوبين ببياض في سواد :

سعدتم يا زائرين ضريحه أمنتم به يوم المعاد من الرحبى

سلمتم وأصبحتم بأكناف طيبه فطوبى لمن يضحى بطيبه أو رعى

وبلغني أن هذين البيتين من كلمة لمحمد بن رشيد بفتح الراء وكسر الشين البغدادي الواعظ ، وهذه الخزانة الموضوعة في هذا الموضع كأنها قصد بها أن لا يستقبل المصلي شيئاً من الروضة الكريمة ، ولذلك بنيت من الجهة الجنوبية على زاوية حادة لئلا يستقبل المصلي منها شيئاً والله أعلم " واضح من هذه العبارة أنه تم تخصيص بهدف الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ [٢٣] وما أكثر هذه الكتب وما أكثر قصائد المديح التي كان يأتي بها المسلمون من كل بقاع العالم الإسلامي . نذكر من هذه القصائد على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره الرحالة المغربي العبدري الذي زار المدينة المنورة في رحلة الحج سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م وفي طريق ذهابه إليها قادماً من المغرب مر بمدينة الإسكندرية ولقي أحد كبار علمائها في تلك الفترة وهو الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن محمد بن منصور المالكي ويعرف بابن المنير فيقول : " وسمعت من لفظه قصيدته النبوية التي نظمها في سفره إلى الحجاز ثم كتبتها وقرأتها عليه وهي من حر القصائد .... وأنا إن شاء الله أثبت القصيدة هنا بجملتها وهي .... " ثم يورد قصيدة من أربعة أبيات في مدح الرسول ﷺ [٢٤] وفق موضع آخر يورد قصيدة ثانية في مدح الرسول ﷺ للشيخ تاج الدين أبو

الحسن علي العرافي العراقي الذي لقيه أيضاً في مدينة الإسكندرية وهي مكونة من خمسين بيتاً أسماها ذات الشفاء في مدح المصطفى ﷺ [٢٥] . وهذه بعض الأمثلة القليلة من العديد والعديد من القصائد النبوية التي كان يرسلها كبار شعراء ومحدثي وفقهاء ومثقفي ذلك الزمان إلى تلك الخزانة الشريفة . والجدير بالذكر أن هذه القصائد لم يختص بها أهل قطر بعينه . بل تنافس في إرسالها الناس في كل الأقطار الإسلامية في الشرق والغرب على السواء [٢٦] . وكان يتم حفظها في مثل تلك الخزانة التي سبق ذكرها وربما في غيرها من الخزائن نظراً لكثرتها وعدم استيعابها في مكان واحد .

ومما يدل على تنوع خزائن الكتب في المسجد النبوي الشريف كذلك ، ليس في أنواع الكتب فحسب ، بل وفي نوع العلوم المختلفة أيضاً ما يذكره العياشي المغربي في وصفه لهذه المكتبات من أنها كانت تفتح ليستعير الناس منها للقراءة في شتى أنواع العلوم وبخاصة العلوم الدينية منها ، ويستمر الحال طوال السنة على هذا المنوال حتى إذا كان اليوم السابع عشر من شهر ذي القعدة من كل عام وهو الذي يسمونه الكنيس ، جمعت بسط الحرم كلها وأدخلت في المخازن فلا يبقى في المسجد إلا الحصر ، وأدخلت المصاحف التي في المسجد والسبحات إلى الروضة ، ورد كل من استعار كتاباً إلى ناظر الخزانة التي أخذه منها ، يتهيأون بذلك للموسم ، لأنه في الغالب مظنة ارتحال قاطن وقدوم غائب واجتماع الناس من الآفاق [٢٧] .

وقد كانت مكتبات الحرم النبوي الشريف دائماً محل رعاية سلاطين وأمراء المماليك وحكام المسلمين في كثير من أنحاء العالم الإسلامي فعندما استولى الحريق سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م وسنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م بادر سلاطين المماليك إلى تعويض مكتبات الحرم بما أتلفه الحريق وأكثر ، إذ أشارت بعض المصادر المعاصرة إلى ما تم عقب الحريق الثاني بوجه خاص ، فقد قام مؤرخ المدينة السمهودي بزيارة لمدينة القاهرة عاصمة دولة سلاطين المماليك ، فأمر السلطان الأشرف قايتباي [٢٨] بتعويض مكتبات الحرم المدني عما احترق من المصاحف

والكتب الدينية المختلفة وغيرها ، وأن ترسل صحبة السمهودي عند عودته بحيث اجتمع من ذلك أكثر مما احترق ، كذلك وعده بأن يرسل من الكتب كل ما تحتاج إليه خزائن المسجد النبوي الشريف ، كما عين ناظراً للحرم النبوي الشريف ليشرف على إعادة عمارة المسجد النبوي الشريف ، ولما تمت إعادة بناء معظم المسجد الحرام اتخذ البناءون فيما أعادوا بناءه من الجدار الشرقي خزائن الكتب ، وصار ناظر الحرم الشريف الأمير الكبير فخر الدين قاسم الفقيه يباشر أمر الربعات والمصاحف بنفسه ومماليكه ، واتخذ لها كراسي صغاراً توضع عليها بالروضة الشريفة في أوقات الصلوات النهارية فيقرأ الناس فيها وعم نفعها [٢٩] . وفي العام التالي سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م بعث السلطان قايتباي إلى الحرم المدني الشريف بكثير من الكتب في مختلف العلوم العقلية والنقلية مع بهاء الدين أبي البقاء ابن الجيعان الذي وصل المدينة المنورة في السابع من شهر ذي القعدة ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية وغيرها ، وكان بينها مصحف كبير الحجم [٣٠] على جمل بمفرده " مصحف حمايلي " وكان من النوادر على حد قول ابن إياس المؤرخ المعاصر هذا المصحف كان قد بدأ في كتابته الخطاط الشهير شاهين النووي ، ولكن مات قبل أن يتمه فأكمله الخطاط المجيد كاتب الوثائق خطاب بن عمر الدنحاوي بأمر من السلطان قايتباي نفسه ، ولعل هذا المصحف لا يزال محتفظاً به مخلداً ضمن مجموعة المصاحف الكريمة والقيمة في مكتبة المصاحف بالمدينة المنورة [٣١] .

ومن حكام المسلمين الذين أولو مكتبة الحرم المدني بالرعاية السلطان شاه شجاع بن محمد بن المظفر جلال الدين أبو الفوارس النودي (ت٧٨٧هـ/١٣٨٥م) سلطان بلاد فارس الذي جاءت ترجمته في كتاب " التحفة اللطيفة للسخاوي " له في الحرم المدني آثار أبرز بها خوافي المحامد ، وآثار منها الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها ، فما من طالب مقتبس إلا وهو يستند من جواهر ذواخرها [٣٢] .

ومما لاشك فيه أن مكتبات الحرم النبوي الشريف ازدهرت مقتنياتها مع مرور الزمن ، بفضل رعاية كثير من الحكام من ملوك وسلاطين وأمراء ، وعلماء

بسبب الصلة الروحية التي كانت تربطهم بالحرم النبوي الشريف ، ومنه من وقف بعض العقارات عليها حتى صار يشار إليها بالبنان وأضحى ذكر مكتباتها ومخطوطاتها جارياً على كل لسان [٣٣] .

وفي بداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي زار الرحالة عبد الغني النابلسي هذه المكتبة والتي كانت تضم كثيراً من الكتب في علوم شتى ، منها الجامع الكبير في الحديث لجلال الدين السيوطي - رحمه الله - في خمس مجلدات كبار ، ومنها جزء ثالث في مجلد ضخم من شرح سنن ابن ماجه للشيخ الدميري - رحمه الله - ، ومنها تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر - رحمه الله - الموجود منه غير المكرم ثلاثة وتسعون جزء كل جزء مجلد على حده الثلاثة أو الأربعة كراريس بالقطع الكامل وجملة مجلدات جزءاً الكتاب خمسمائة وسبعون مجلداً وغير ذلك من نوادر الكتب والمخطوطات التي لا حصر لها [٣٤] .

ومن المرجح أن تكون المكتبة التي قام شيخ الإسلام عارف حكمت بإنشائها ملاصقة للحرم النبوي الشريف سنة ١٢٦٠هـ وقد ضمت بعض مقتنيات خزائن الكتب التي كانت موجودة في الحرم النبوي الشريف والتي بلغ مجموع ما بها من الكتب ٤٥٥٥ مخطوطاً وأكثر من ألفي كتاب مطبوع وجميعها من الكتب النادرة ، ولها سجل مخطوط في خمسة أجزاء ، أما المكتبة المعروفة الآن باسم مكتبة الحرم المدني والتي يبلغ عدد كتبها ٥١٥٣ كتاباً ، منها ٥٠٠ مخطوط فلا شك أنها تشكل جزءاً من خزائن الحرم النبوي الشريف بالإضافة إلى بعض المكتبات الأخرى الصغيرة التي تخص بعض علماء أهل المدينة والتي ضمت إليها [٣٥] ، كذلك لا نستبعد أن تكون بعض الأيدي قد عبثت بها فضاعت بعض محتوياتها نتيجة لانعدام الرقابة على المكتبات الموقوفة مثلها مثل كثير من المكتبات في العالم العربي ، فتسرب الكثير من مخطوطاتها النادرة إلى الخارج وأصبحت مكتبة المتحف البريطاني بلندن ومكتبة ليدن في هولندا ، ومكتبة نظام حيدر آباد بالهند وغيرها من المكتبات العالمية تزخر بالكثير من تراثنا [٣٦] .

٢- خزائن المدارس والكليات الجامعية :

من المعروف أن العالم الإسلامي بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص قد شهد قيام حركة ثقافية ضخمة تمثلت في بناء العديد من المدارس منذ أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد إذا أقبل الحكام من خلفاء وسلاطين وأمراء ووزراء على إنشاء هذه المدارس بدافع التقوى والزلفى حتى شيدوا منها " ما ملأ الأخطاط وشحنها " على حد قول أحد المؤرخين المعاصرين [٣٧] ، هذا فضلاً عن أن كثيراً من المقتدرين من غير الحكام كالتجار والأعيان ونحوهم قد شاركوا مشاركة فعالة في بناء هذه المدارس التي تذخر بها المدينة المنورة في العصر الذي نتحدث عنه ، ومهما يقال لغوياً من أن الأصل في المدرسة أن تكون مكاناً لدراسة العلوم الدينية فإن الذي نحب أن نؤكده هو أن المدارس في الإسلام غدت جامعات بالمعنى الحديث الذي نعرفه ، سواء من ناحية تنوع الدراسات التخصصية ورقي مستواها فيها أو قدرتها على استيعاب طلاب العلم الوافدين إليها من شتى الأنحاء ، فضلاً عن أنها تميزت غالباً بمساكن لطلاب العلم والمدرسين ، وربما ألحق بها سبيل للشرب يعلوه مكتب لتعليم الأيتام [٣٨] .

كما أدرك المسلمون أهمية المكتبات بالنسبة للمدارس فعنوا بالكتاب والمكتبة عناية فائقة لذلك نجد أنه ما من مدرسة بالمدينة المنورة إلا وكان بها مكتبة خاصة بالكتب الثمينة وهذه المدارس كثيرة وشهيرة ، منها ما هو متصل بالحرم النبوي الشريف بين باب السلام وباب الرحمة ، ومنها ما هو حول المسجد، ومنها ما هو بالقرب من باب جبريل أحد أبواب المسجد النبوي الشريف [٣٩] بل إنه روعي في بنائها في غالب الأمر أن تكون مطلة ولها شبابيك شارعة على المسجد نفسه [٤٠] وكان الهدف من تزويد هذه المدارس " بخزائن الكتب " أي المكتبات التي يرجع إليها المدرسون والطلاب في البحث والاستقصاء [٤١] ، ولذا فقد وقفوا عليها الكتب الكثيرة في مختلف ألوان المعرفة والمصاحف والربعات الشريفة ، مما أثر بدوره في خزائن الكتب الأخرى أو بعبارة أخرى أنه قد قلت عناية سلاطين

وأمراء المماليك وغيرهم من أهل اليسار بالمكتبات الموجودة في المؤسسات الثقافية الأخرى بالمقارنة لعنايتهم بمكتبات المدارس التي ابتنوها [٤٢] . ولاشك في أن هذا يعتبر تطوراً كبيراً في تاريخ المكتبات ، لإتاحة الفرصة للانتفاع بما فيها من كتب على نطاق أوسع وحصرها على المشتغلين بالعلم وما أكثرهم في ذلك العصر.

كذلك مما لا ريب فيه أنه إذا كانت السمة الغالبة على عدد كبير من مكتبات المدارس التي بنيت للشهرة والمعرفة بين الخاصة ، والرفعة في الأقران والسطوة للملوك والسلاطين [٤٣] ، فإن مكتبات مدارس المدينة المنورة قد تم بناؤها على أساس حفظ الدين ومكارم الأخلاق ونشر العلوم وإبقاء الفنون وترويج سنن الأولين وإقماع البدع فضلاً [٤٤] عن أن مؤسس المدارس من سلاطين وأمراء المماليك وغيرهم قد أدركوا أهمية الدور التعليمي الذي تلعبه المكتبة فخصصوا لها مكاناً في مدارسهم . والحقيقة أنه قل أن مؤسس مدرسة في العصر المملوكي دون أن يحوي تصميمها المعماري خزانة تزود بالكتب المختلفة في علوم الدين والحياة لتعيين المدرسين والمعيدين وطلبة العلم الشريف ، وكان كثير من السلاطين والأمراء والعلماء مغرماً باقتناء الكتب النفيسة بخطوط مؤلفيها ، وجمع المصاحف الكريمة والربعات الشريفة ذات الخطوط المنسوبة التي كتبها أشهر الخطاطين ، وزخرفها أحسن المذهبين وغيرهما من روائع المخطوطات والكتب النادرة وقاموا بوقفها على خزانات الكتب بالمدارس التي أنشأوها أو غيرها من المؤسسات الاجتماعية والدينية [٤٥] . ومن ثم فإنه لا غرابة أن نسمع مثلاً أن السلطان الأشرف قايتباي عندما أمر في سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م بإنشاء المدرسة الأشرفية بين باب السلام وباب الرحمة من أبواب المسجد النبوي الشريف . فلما تم بناؤها سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م بإنشاء المدرسة الأشرفية بين باب السلام وباب الرحمة من أبواب المسجد النبوي الشريف ، فلما تم بناؤها سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م أرسل إليها أحمالاً من الكتب الشرعية وغيرها من نوادر الكتب [٤٦] ، لتوضع في خزانة الكتب بها ،

وأن مكتبة المدرسة الشهابية وكانت موقوفة على المذاهب الأربعة ، كان بها من الكتب ما لا يحصى كثرة من نوادر الكتب الثمينة والنفيسة في نفس الوقت [٤٧] .

أيضاً نستطيع أن نقول أن سلاطين المماليك كان لهم ولع باقتناء الكتب ذلك لأنهم باعتبارهم حماه للمذهب السني بعد إحياء الخلافة العباسية في القاهرة في أعقاب سقوط مدينة بغداد على أيدي المغول سنة ٦٥٦هـ/١٣٥٨م والداعين إليه في مواجهة المذهب الشيعي الذي كان شائعاً في المدينة المنورة وبخاصة بين حكامها من الأشراف [٤٨] . ولاشك أن الكتب هي الوسيلة الفعالة والأداة القوية لنشر علوم المذهب السني ودراسته بين الناس عامة وطلاب العلم خاصة ، بالإضافة إلى أنها دليل واضح على مقدار تقدم العلم والتعليم في العصر ، وانتشار الآداب والعلوم [٤٩] . لذا فقد ركزوا على هذه الكتب في الخزائن الموجودة في المدارس ، والمارستان ، المسجد النبوي الشريف والربط والخوانق وغيرها من المؤسسات الثقافية ، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة التي اقتناها مشاهير ذلك العصر ، فكانت خزائن الكتب تحوى كتب السُنة والفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتاريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء وغيرها [٥٠] من الكتب التي تم تداولها في ذلك العصر بشقيه أي طوال عصر سلاطين المماليك البحرية والمماليك الجراكسية . أيضاً يجب أن نذكر حرص سلاطين وملوك المسلمين في شتى أنحاء العالم الإسلامي على تزويد مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة بالكتب القيمة ، فذكر من هؤلاء السلطان مظفر شاه ٩١٦هـ-٩٣٢هـ/١٥١٠م-١٥٢٦م سلطان دولة الكجرات بالهند ، وكان حسن الخط كتب بيده جملة من المصاحف الشريفة ، وأرسل فيما أرسل كتب جليلة مصحفاً إلى المدينة المنورة الشريفة [٥١] . وعن المكان الذي كانت توضع فيه خزانة الكتب في المدارس في المدينة المنورة في العصر المملوكي ، فالحقيقة أن المصادر التي بين أيدينا قد أغفلت علينا بذلك كما لم نعثر على المعلومات الكافية التي توضح بجلاء هذه الناحية ومع هذا فإنه يمكن القول أن مكتبات المدارس في المدينة

المنورة بوجه خاص وبلاد الحجاز الأخرى بوجه عام لم تخرج في طابعها عما هو مألوف في شتى أنحاء دولة سلاطين المماليك في مصر والشام والحجاز . ولقد كانت خزانة الكتب في العارة تحتل مكاناً خاصاً هو إحدى خزانات أو قاعات أو حواصل المدرسة المملوكية في مكان متوسط من البناء كله بين الإيوانات الأربعة أو بين الإيوانيين إذا كانت المدرسة مبنية من إيوانيين فقط ، ليسهل الوصول إليها ليكون موقعها وظيفياً ، وغالباً ما كانت خزانة الكتب من إيوان القبلة بالذات [٥٢] ، وإن كنا نرجح استثناء مدارس مكة بوجه خاص من هذه القاعدة حيث تركزت مدارسها حول الحرم المكي الشريف ، لذا فلم تكن هناك حاجة لوجود محراب فيها لإقامة الصلاة إذ من الطبيعي أن يحرص النازلون فيها على الصلوات في الحرم المكي الشريف ، وربما كان الحال كذلك في مدارس المدينة المنورة ، لما للصلاة في الحرمين الشريفين من فضل على الصلاة في غيرهما هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فقد وجدت بعض خزائن الكتب في بعض مدارس مكة في حاصل المدرسة والذي قد يكون في أعلى المدرسة حيث توجد الخلاوي للطلبة النازلين بها ، فتخصص إحدى هذه الحجرات لخزانة الكتب مثلما كان الحال في المدرسة التي يذكرها أحد كبار مؤرخي مكة في ذلك العصر فيقول عنها " مدرسة الملك الممدوح جميل الصفات مغيث أهل الحرمين الشريفين جزيل الصلات مولانا السلطان الملك المنصور غياث الدين أبي المظفر أعظم شاه بن السلطان سعيد الشهداء إسكندر شاه بن السلطان شمس الدين المغفور له صاحب بنجاله ، والتي تم بناؤها سنة أربع عشرة وثمانمائة هجرية .. فقد جعل الواقف المنازل التي تعلوها وهي إحدى عشرة خلوة محلاً لسكنى جماعة من الفقراء خلا واحدة منها فإنه جعلها خاصاً للمدرسة المذكورة " [٥٣] .

والسبب التي كانت من أجله توضع خزانة الكتب في إيوان القبلة أو في مكان متوسط من المدرسة أو بالقرب من منازل الطلبة داخل المدرسة هو أن تكون كتبها في متناول الجميع من العلماء والطلبة الدارسين في مختلف الإيوانات في

المدرسة ذات التصميم المتعامد ، وعادة ما توجد في مكان مرتفع عن أرضية الشارع ، وبعيدة في الوقت نفسه عن دورات المياه والرطوبة ، ولذلك كان أنسب مكان لها هو إيوان القبلة الذي به المحراب . وإذا حدث وضاقت خزانة الكتب بما تحويه من مصاحف وربعات شريفة وكتب مختلفة نتيجة النمو في حجم المجموعات ، كانت تستخدم خزانة أخرى قريبة منها بالمدرسة نفسها ، أما عن الناحية الجمالية في خزانة الكتب في المدرسة ، فمن المعروف أن كل خزائن الكتب في المدارس المملوكية بوجه عام كانت خالية من الزخرفة والزينة ، بسيطة في تكوينها وأثاثها .

فالمدرسة الغياثية بأنها كانت كإحدى الخلاوي المخصصة لسكنى الطلاب وضمن مجموعة الخلاوي التي اتصفت بالبساطة لا فخامة فيها لأن الغرض الأول والأخير من وجودها هو حفظ الكتب وغيرها وتسهيل استعارتها من أجل البحث والدراسة (٥٤) .

ويجب أن نضع في اعتبارنا أن هناك خلافاً بين مدلول لفظة الخزانة في العصر المملوكي ، ولفظة المكتبة في عصرنا الحديث ، فالخزانة في المدرسة في ذلك العصر تدل على المكان الذي كانت تحفظ فيه الكتب والمصاحف والربعات الشريفة والمخطوطات وغيرها ، بينما كانت الإيوانات الأربعة في الأوقات التي ليس فيها دراسة أو حتى أثناء الدراسة كانت تتخذ كقاعات للقراءة والبحث والاطلاع والنسخ أي أنها كانت تتحول بكل إمكانياتها لخدمة النشاط المكتبي في الوقت الذي كانت فيه خزانة الكتب جزءاً لا يتجزأ من المدرسة فهي ليست قائمة بذاتها في مبنى مستقل أو ملحق بالمدرسة ، بل أنها ضمن عمارة المدرسة نفسها وقبلة أنظار الجميع فهي مكتبة جامعية متخصصة في مؤسسة تعليمية اجتماعية مما وفر للمدرسة خدمة مكتبة قريبة (٥٥) . والخزانة بذلك تختلف كل الاختلاف في أوجه كثيرة عما نعرفه عن المكتبات في عصرنا الحديث.

أيضاً هناك نقطة ما بالنسبة لأهمية خزانات الكتب في المدارس في ذلك العصر أو الكليات الجامعية حسب مصطلح عصرنا الحديث ، وهو أن خزانات

الكتب هذه لم تكن تهمل أو تترك مغلقة على ما فيها من الكتب بل كانت محور النشاط التعلمي في هذه المدارس ، وأنها لم تكن للتعليم فقط بل وللتعلم كذلك وتحصيل العلم بالبحث والدراسة في الكتب نفسها ، والنقل مما تحويه من مادة علمية ثمينة عظيمة القدر والقيمة ، وتتضح تلك الأهمية من خلال التعرف على مهمة المدرس الذي كان من أهم واجباته أن يسهل على الطلبة الفهم ويحثهم على الاشتغال بالعلم الشريف [٥٦] إلى ترغيب الطلبة في العلم وتحصيله بالاعتماد على الكتب والمكتبات . يضاف إلى هذا أنه كان عليه دائماً أن يوضح للطلبة كل ما يشكل فهمه عليهم ويكشف لهم غوامض الأمور ومشكلاتها سواء بطريق مباشر أي بنفسه ، أن يطلب منهم البحث في الكتب المختلفة للتوصل لذلك بأنفسهم تحت إشرافه ويأخذ بيدهم عند الضرورة ويشجعهم دائماً على البحث والاشتغال الدائم بالعلم [٥٧] .

ومن ثم تكون خزانة الكتب مستودعاً منعزلاً للكتب بل كانت مؤسسة وثيقة الصلة بروح التعليم ، ومكاناً للرقي الفكري والإشعاع الروحي ، ومركزاً للمعرفة ووحدة وظيفية لها غاية تعليمية ورسالة حيوية في المدرسة المملوكية أكثر مما هي مكان به مجموعة من الكتب المخطوطة محبوسة عن الطلبة . وكانت ثرواتها الضخمة من مجموعات الكتب في خدمة جمهور المدرسة وحده من المدرسين والطلبة فقط بكل ما لهم من مطالب وقاصرة عليهم لحد كبير . كما كانت عنصراً هاماً وركناً أساسياً في التربية في هذه المدارس لا يمكن الاستغناء عنه وإنكار فضله، لأنها أسهمت بقدر كبير في تأكيد فكرة التعليم الجامعي بمعناه الأصيل السليم [٥٨] ، ولأن أهم ميزة للتعليم في هذه المدارس أو الكليات هي الحرية التي كانت عنصراً رئيسياً متوافر بدرجة كبيرة [٥٩] . ذلك أن المستوى الفكري لطالب العلم وتطلعاته وطموحه كانت هي العوامل الأساسية التي تدفعه تلقائياً إلى التطلع إلى مستوى أرقى من التعليم دون أن تحد من حريته بأي قيود أو شروط . وكل ما هنالك أن سار وفق ما تتطلبه به العقيدة الإسلامية من حرص على العلم والاشتغال به، وفي ظل هذا المناخ التعليمي تمتع الطلبة بحرية اختيار المواد التي

يدرسونها بحيث" لا يمنع فقيه أو مستفيد من الطلبة مما يختاره من أنواع العلوم الشرعية " [٦٠]. وهكذا كانت الدراسة في تلك المدارس تعتمد أولاً وقبل كل شيء على الكتب الموجودة في خزانة الكتب الخاصة بهذه المدرسة أو تلك والبحث فيها، وبذلك كانت خزانة الكتب في كل مدرسة عبارة عن مؤسسة اجتماعية تعليمية لا تتقيد بمنهج مرسوم أو برنامج معين ، وتغلب عليها الصيغة الحرة بدلاً من الصيغة الرسمية في المدرسة لأن خير تعليم هو ذلك الذي يستطيع الفرد فيه أن يناله أو يحصله بنفسه " التعليم الذاتي " في جو تسوده الحرية والرغبة والميل ، فيفيد منه الإنسان وتبرز شخصيته بعد أن تعود على البحث بنفسه في المصادر وهذا هو السبيل القويم للتعليم [٦١] .

القائمون على العمل في خزانة الكتب :

أ- خازن الكتب :

يأتي في مقدمة القائمين على العمل في خزانة الكتب في مدارس المدينة المنورة في العصر المملوكي ، بل وفي غيرها من المدن التي خضعت لسلطنة المماليك " خازن الكتب " أو أمين المكتبة حسب مصطلح عصرنا الحديث ، كذلك أطلق عليه اسم " حافظ الكتب " [٦٢] وواضح أن وظيفته كانت من الوظائف الهامة في ذلك العصر ، فقد ولى السلطان الأشرف قايتباي الشيخ السمهودي وهو من كبار علماء المدينة المنورة الإشراف على خزانة الكتب في مدرسته التي بناها في المدينة المنورة بما يؤكد أن مؤسس المدرسة سواء كان ملكاً أو سلطاناً أو أميراً أو حاكماً من حكام المسلمين كان يحرص دائماً على أن يختار لمكتبة مدرسته أفضل من يصلح لهذا المنصب [٦٣] ، مما يؤكد بأن منصب الخازن أو الأمين بالمكتبة كان منصباً رفيعاً لا يتولاه إلا الشخصيات الكبرى أو أحد كبار العلماء في الفقه واللغة والأدب وغيرها من العلوم والمعارف السائدة في ذلك العصر [٦٤] . لكي يكون عوناً للطلبة والباحثين في إرشادهم إلى ما يحتاجون إليه من مراجع [٦٥] . ولقد حددت وثائق الوقف مهمة أمين المكتبة والذي كان في نفس الوقت عضواً بارزاً ولامعاً في

المدرسة ، فهو من رجال العلم واسع المعرفة وتبدأ مهمته منذ أن يقوم الناظر على وقف المدرسة بتسليم الكتب إليه ويحرر محضراً بتسلمه هذه الكتب ثم توقيع بعض الشهود على المحضر ، ثم يتولى حفظها وترتيبها والعناية بها ونفض الغبار عنها [٦٦] . وقد ذكرت لنا كتب بعض الفقهاء المعاصرين مهمة هذا الخازن أو الأمين أو شاهد خزانة الكتب أو خازن الكتب والربعات الشريفة حسب مصطلح ذلك العصر ، وحددت عمله بشكل واضح نحو الكتب إذ " حق عليه الاحتفاظ بها وترميم شعثها ، وحبكها عند احتياجها للحبك . والضنه بها على من ليس من أهلها وبذلها للمحتاج إليها ، وأن يقوم في العرية " الاستعارة " الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء وكثيراً ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحوز قيمته وهو شرط صحيح معتبر فليس للخازن أن يعير إلا برهن " [٦٧] . كذلك من سلطانه في بعض الأحيان أو حسب شروط الواقف ألا يخرج شيئاً من الكتب والمصاحف من خزانة كتب المدرسة التي يشرف عليها برهن ولا عارية ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه [٦٨] .

وكان يشترط فيه أن يكون ثقة خيراً أميناً يقظاً ذكياً فطناً عاقلاً مأموناً بالغاً في الأمانة والثقة والنزاهة وقلة الطمع قادراً على القيام بخدمة الكتب عارفاً بترتيبها[٦٩] .

أما إذا ثبت عجزه وأنه فرط في كتب المدرسة التي يتولى الإشراف على خزانة الكتب فيها ، فإنه يتم عزله من منصبه هذا ، وإحلال شخص آخر محله بعد أن يتم تغريمه ثمن ما ضاع من كتب وغيرها نتيجة إهماله هذا أو تقصيره [٧٠] .

ومن المرجح أن وظيفة الخازن أو أمين المكتبة في ذلك العصر كان يتوارثها الأبناء عن الآباء ، وقد كان هذا الطابع الغالب على كثير من الوظائف بوجه خاص طوال العصر المملوكي ، إذ توارثت أسرات بعينها مناصب ووظائف معينة في كثير من المؤسسات الدينية والتعليمية والاجتماعية ، فلينظر ذلك هناك ، لكن من المرجح أن يكون تولى الابن الوظيفة يعد والده مشروطاً حسبما جرى به العرف في ذلك العصر إذ تشير إحدى وثائق من العصر المملوكي إلى هذه النقطة صراحة

يقولها " ومن توفى من أرباب الوظائف وله ولد صالح لوظيفة والده قرره الناظر مكان والده في الوظيفة المذكورة بمعلومة المشروط له في كتاب الوقف ، فإن لم يكن له ولد كان وليس أهلاً فإن كان يرجى صلاحه قرر الناظر نائباً عنه إلى حين صلاحه ومباشرته وظيفة والده فإن لم يرجى صلاحه نزل الناظر أحداً من طلبة العلم الشريف المتصفين بالصفات المذكورة وأجرى عليه معلومها " [٧١] .

ومن المعروف أنه لم يكن يسمح للخازن أو غيره من أرباب الوظائف بالجمع بين وظيفتين أو أكثر إلا بشرط الواقف ، وإن كانت بعض الوثائق تشير إلى أنه يمكن في حالة الضرورة أن يجمع بين عدة وظائف ويتناول معلومها أي مرتين كل وظيفة على حده كما حددت بعض وثائق الوقف المملوكية العطلات الرسمية لأرباب الوظائف ومنها وظيفة خازن الكتب كان يسافر لأداء فريضة الحج فيصرف له راتبه عن المدة التي سافر فيها إلى أن يعود ، كذلك في حالة سفر لزيارة أهله وصلة رحمة ، فقد كان يسمح له بذلك في حدود ثلاثة أشهر لا غير ، كذلك في حالات المرض ، فإنه يسمح له إلى حين عافيته ، وفي الحالات الطارئة كان يسمح له بإجازة طارئة من العمل يتقاضى عنها راتباً لمدة ثلاثة أيام في الشهر مجتمعة أو متفرقة [٧٢] .

ب- الناسخ :

ومن الوظائف التي عرفتها مكتبات المدارس في المدينة المنورة في العصر المملوكي كذلك ، وظيفة الناسخ وربما وجد في كل مكتبة أو خزانة كتب أكثر من ناسخ لنسخ ما يطلب منهم نظيراً أجر يدفع لهم من ريع الوقف ، ذلك لأن الطباعة لم تكن قد عُرفت في ذلك العصر ، كما لم تكن هناك وسيلة للحصول على نسخة من أي كتاب سوى عن طريق نسخة على يد أحد هؤلاء النساخ . والجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من طلاب العلم وبخاصة من كان منهم رقيق الحال أو ممن جاور بالمدينة المنورة قادمين إليها من مختلف ربوع العالم الإسلامي ، اتخذوا حرفة النسخ وسيلة يتعيشون بها مما أثرى مكتبات المدينة المنورة بوجه عام ، وخزائن الكتب في المدارس بالعديد من المؤلفات التي نقلوها عن أصولها المخطوطة .

فضلاً عن أنهم ساعدوا على رواج كثير من المؤلفات لدى الوراقين وغيرهم من اهتموا بالكتب [٧٣] . كذلك كان لهؤلاء النساخ دورهم الهام في تزويد خزائن الكتب بما لا يوجد فيها من كتب نادرة ، وما يتعذر تحصيله منها عن طريق نسخها وخاصة إذا كانت من أمهات الكتب في علم من العلوم ، أو كان الإقبال عليها كثيراً لأهميتها وأصالتها ، ولذلك وجد في بعض المكتبات أحياناً أكثر من نسخة واحدة من الكتاب الواحد ، وكثيراً ما كان سلاطين وأمراء المماليك وغيرهم من ذوي الجاه والنفوذ يستولون على كتب من سبقهم بثمن بخس أو بغير ثمن ويضيقونه إلى الخزانات التي تنسب إليهم في ذلك العصر والذين وصفهم المقريزي بقوله " في القوم إلا سارق من سارق أو غاصب من غاصب " [٧٤] ، ومع هذا تشير بعض المصادر المعاصرة إلى عدم دقة هؤلاء النساخ أحياناً عند نسخ كثير من الكتب ، وربما كان السبب وراء ذلك كثرة ما لديهم من كتب ينسخونها أو السرعة وعدم تحري الصدق ، فقد ذكر السخاوي في ترجمة للشيخ على شمس الدين أبي المجد بن القطب بن السراج الحسني الرميثي (ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م) بأنه قد " صار وجيهاً ذا دور متعددة وأماكن متنوعة وكتب نفيسة استكتب أكثرها ولكنها غير مقابلة بل كثيرة السقم مع شدة الإمساك والحرص " [٧٥] .

وعلى هذا الأساس حرصت كتب الفقهاء في ذلك العصر على إيضاح أهمية هذه المهنة ، وحقوق المشتغلين بها ، والشروط الواجب توفرها فيمن يشتغل بها ، إذ أوضحت للناسخ أن " من حقه ألا يكتب شيئاً من الكتب المضلة ككتب أهل البدع والأهواء وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها ، كسيره عنترة وغيرها من الموضوعات المختلفة التي تضيع الزمان ، وليس للدين بها حاجة، وكذلك كتب أهل المجون .. فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه ، ومن النساخ من لا يتقي الله تعالى ويكتب عن عجله ، ويحذف في أثناء الكتابة شيئاً رغبة في إنجازه . إذا كان قد استؤجر على نسخة جملة وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ببعض ، ولمصنف الكتاب في بتره وتصنيفه وللذي أستأجره في سرقته منه هذا القدر . قال أصحابنا : ولو استأجره ليكتب شيئاً فكتبه خطأ أو بالعربية فكتبه بالعجمية أو بالعكس ، فعليه ضمان نقصان الورق ولا

أجرة له ومن يستأجر ناسخاً يبين له عدد الأوراق والأسطر في كل صفحة ، واختلف في الجد إذا لم يعين على من يكون فالأصح الرجوع إلى العادة فإن اضطربت وجب البيان وإلا فيبطل العقد " [٧٦] واضح من هذا النص أنه أورد مهام الناسخ وما يجب عليه أن يراعيه أثناء الكتابة وحقوقه عند النسخ أي أنه أورد كل ماله وما عليه ، فلو تم التمسك بهذه الأمور لخرجت نسخ الكتب المختلفة على أحسن ما يكون ولما وجد هناك ما يشوب هذه العملية الهامة في مجال الخدمات المكتبية في وقت كانت عملية النسخ على درجة كبيرة من الأهمية لطالبي العلم ، كذلك كان من مهمة أي ناسخ أن يرتب الأوراق التي قام بنسخها ويقدمها للمجلد الذي يتولى تجليدها .

ويبدو أن مهنة النسخ هذه لاقت إقبالاً كبيراً في ذلك العصر نظراً لما كانت تدره على صاحبها من كسب مادي إذ نسمع أن أحد النساخ كان يحصل على ألف درهم للنسخة الواحدة [٧٧] .

٣- المجلد :

المجلد هو في الغالب أحد أعوان خازن الكتب في كل مدرسة من مدارس المدينة المنورة في ذلك العصر ، ويشير أحد المصادر المعاصرة إلى هذه الحرفة كانت معروفة في المدينة المنورة ، واشتغل بها عدد لا بأس به من سكانها وبخاصة من المهتمين بالكتب والمكتبات أو بالعلوم بوجه خاص سواء كانوا من القاطنين [٧٨] بها أم الوافدين إليها وبخاصة من المجاورين نذكر منهم على سبيل المثال " الشيخ محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن العلامة نور الدين علي بن فرحون الشمسي اليعمري المدني المادح ويعرف بابن المجلد وربما يقال له المجلد وهي حرفة أبيه وأخيه العز عبد العزيز الذي سمع مني بالمدينة ومحمد أكبرهما ، ونكسب بالعطر قليلاً وحفظ القرآن ، مات في ثاني ربيع الثاني سنة أحد وتسعين وثمانمائة " [٧٩] . واضح من هذا النص أن عدداً لا بأس به من أفراد هذه الأسرة اشتغلوا بفن التجليد ، ما يفيد أن هذه الحرفة كانوا يتوارثها الأبناء عن الآباء، فضلاً عن أنه كان لها أسرارها الخاصة التي توارثها أيضاً . يضاف إلى هذا ما يشير

إليه نفس المصدر في مكان آخر من أن أبناء هذه الأسرة كانوا من مشاهير العلماء في المدينة المنورة طوال العصر المملوكي وبخاصة في علم الحديث ، كما كانوا قضاة للمذهب المالكي بما يؤكد لنا أن هذه الحرفة تطلبت شروطاً خاصة لعل من أهمها حب العلم والإقبال عليه والذي انعكس في حبهم لهذا الفن وهو فن التجليد [٨٠] . كما شارك آخرون في هذا الفن وبخاصة ممن جاوروا في المدينة المنورة زمناً طويلاً نذكر منهم على سبيل المثال أيضاً " محمد بن محمد بن محمد صدر الدين بن القطب بن الصدر التاجر خادم السنباطي والملقب له بمعلم السلطان بحيث صار يعرف بذلك بين كثيرين وعند العامة بلقبه ، حج معه وجاور وتكسب بالتجليد وهو أجود من غيره مع كونه متوسط الأمر في صناعته ، سمع مني يسيراً " واضح من هذا النص أن المشتغلين بفن التجليد في المدينة المنورة في هذه الفترة قد تفاوتوا في مدى إتقان هذا الفن فيما بينهم وأنه تم تقسيمهم إلى درجات بناء على هذا التعاون [٨١] .

والمعروف أن فن التجليد وتزين الكتب والمصاحف بالذهب واللازورد وغيرهما من الألوان كان معروفاً في الشرق العربي الإسلامي ، وقد نال عناية كبيرة في شتى أنحاء سلطنة المماليك بفضل تشجيع سلاطين وأمراء المماليك حتى بلغ الذروة على عهدهم [٨٢] .

٤- المناول والمذهب والفراش أو البواب :

من الوظائف التي ترجع وجودها في مكتبات المدارس بالمدينة المنورة في ذلك العصر وظيفة المناول والتي لم تختلف عن مثيلاتها في مكتبات المدارس في معظم المدن التي خضعت لسلطنة المماليك وهي وظيفة وسط بين وظيفة الخازن أي أمين المكتبة والفراش في المكتبة المملوكية والمناول لا يمكن الاستغناء عنه ، لأن المكتبة أو خزانة الكتب تعتمد في تأدية خدماتها على نشاطه وتعاونه مع الخازن [٨٣] .

وكان المناول يحضر الكتب والمصاحف والربعات الشريفة من الخزانة ، ويقوم بتوصيلها إلى طالبيها ، وكان يعرف أماكن الكتب ويعثر عليها بسهولة ودون معرفته غالباً لما تحتويه من مادة علمية ، كما كان يسعى بها إلى القراء والنساخين وغيرهم من طلبة العلم والباحثين ، وعندما ينتهون من حاجتهم إليها ، كان يقوم بإرجاعها إلى الخزانة أو الرفوف يضعها في أماكنها ، كل ذلك تحت إشراف الخازن أو الأمين . ولذلك كان يعبر عنه أحياناً بالخادم أو حامل المصحف أو خادم الربعة الشريفة تأدباً [٨٤] . وفي بعض الأحيان كان الخازن يجمع بين وظيفة الأمين والمناول في آن واحد . وربما كان هناك شخص آخر كانت مهمته تذهيب الكتاب والمصاحف والذي كان من حقه ألا يذهب غير المصاحف ، وإن كان هناك اختلاف في الرأي حول تحلية المصاحف بالذهب حسبما تشير بعض المصادر بذلك ، واشترطت فيه نفس الشروط التي كانت تشترط في الناسخ [٨٥] .

كذلك وجد في كل مدرسة شخص يقوم بالفراشة والبوابة لحفظ المكان وضبطه وما به من بسط وفرش وقناديل وغير ذلك من الكتب وغيرها .

ويظهر أن عدد موظفي المكتبة كان يتوقف على مجموع الدارسين والمدرسين والطلبة الذين تخدمهم المكتبة أو خزانة الكتب ، وعلى نوع الخدمات التي كانت تؤدي لهم [٨٦] .

المرتبات وأوجه الصرف الأخرى :

لقد لعب نظام الوقف الإسلامي دوراً كبيراً بوجه خاص في المدينة المنورة في العصر المملوكي ، وأدى خدمات جليلة في مختلف النواحي ومنها الناحية التعليمية على وجه الخصوص . والواقع أن إرسال الكتب إلى المدارس ووقفها بخزانات الكتب على طلبة العلم الشريف ، كان من أهم أعمال الخير والبر التي قام بها سلاطين وأمراء المماليك وغيرهم من حكام المسلمين والمشايخ والأعيان والأثرياء وأهل الخير الذين كانوا يمدون المكتبات بما يلزمها من الكتب ونوادر المخطوطات والمصاحف وغيرها لينتفع بها المدرسون والطلبة طوال العصر

المملوكي . كما أن الأوقاف كانت هي المصدر الرئيسي للإنفاق على خزانات الكتب بالمدارس ، وما يلزمها ولسد احتياجاتها المختلفة ، ومن ريع هذه الأوقاف كانت تخصص بعض الأموال لأغراض الخدمة المكتبية ، كما كانت المكتبات تزود بما يلزمها من كتب وورق ، وأحبار وأقلام ، كما اشترى ما يلزم المدارس من البسط والسجاجيد والحصير والقناديل والزيت [٨٧] . ومن ريع الأوقاف كانت ترمم عمارة المدرسة وخزانة الكتب وما بها من كتب في مختلف العلوم ، وأدوات الكتابة والمصاحف والربعات الشريفة ، كذلك كانت تدفع مرتبات أرباب الوظائف وغيرهم بالمدارس . ومنهم خزانة الكتب والمناولون والفراشون ، وهذه المرتبات غالباً ما كانت تحدد حسب ريع الوقف الذي تم وقف عليها ، ومن الطبيعي أن تتفاوت مرتبات الأمناء في مكتبات المدارس في المدينة المنورة كما تتفاوت في غيرها من المدن الخاضعة لسلطنة المماليك وذلك تبعاً لمركز الخازن وسمعته ومهمته ، ومقدار ما يسهم به من أعمال فنية وإدارية وغيرها في خزانة الكتب أي المكتبة ، وتبعاً لريع الوقف بوجه عام ، فإننا نرجح أن مرتبات الأمناء قد تراوحت ما بين ٥٠ درهماً شهرياً ومائتي درهم ، هذا إلى جانب ما كان يحصل عليه كل منهم من جوامك أي رواتب نقدية وعينية شهرية تزاد في المواسم وخاصة نصف شعبان وشهر رمضان وعيدي الفطر والأضحى [٨٨] .

خلاصة القول أن الأوقاف التي تم حبسها على المدارس وخزائن الكتب فيها بل وعلى غيرها من مؤسسات الثقافة في ذلك العصر ، قد تعددت مصادرها فمنها ما هو ببلاد الشام وتم وقفها للإنفاق من ريعها على هذه المؤسسات وهي التي اشتهرت في المصادر المعاصرة باسم أوقاف الحرمين الشريفين وخير مثال لنا بأوقاف السلطان الأشرف شعبان بن حسين في بلاد الشام أي الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان حسب مصطلح العصر الحديث أغلبها في سورية وهي عبارة عن عدة قرى في أعمال كل من حماه المحروسة وحلب ، معرة النعمان وعدة بساتين في الكرك والشوبك في الأردن حالياً ، وكذلك أحد الحمامات بالكرك بالإضافة إلى قرية تدعى فرعنا من قرى فلسطين تقع في جنوب شرق مدينة نابلس وتبعد

عنها حوالي عشرة كيلومترات تقريباً ، وقد حددت وثيقة الوقف أوجه الإنفاق المختلفة في كل من المدينة المنورة ومكة المكرمة بشكل واضح ومفصل بما يعكس أهمية الوقف في ذلك العصر في الحياة الثقافية والاجتماعية وغيرها [٨٩] .

كما وردت إشارة لدى أحد كبار مؤرخي الحجاز في تلك الفترة أن أرباب الوظائف بوجه خاص وهم الذين عرفوا باسم " أهل الصرر " الذين يتلقون رواتبهم في صرر تأتي إليهم من القاهرة ، وكانت تصرف لهم من مودع الأيتام أو المودع الحكمي الذي كانت تودع فيه أموال الأيتام والغباب ، هذه الرواتب كان يتسلمها أحد كبار علماء المدينة أو مكة ويقوم بتوزيعها عليهم ويذكر أن أرباب الصرر ربما قاموا بتسلم رواتبهم منه مقدماً ويفوضونه في قبض رواتبهم عندما تصل هذه الصرر، لذا فربما " حمل الصندوق الحكمي إلى منزله في بعض السنين لاستحقاقه لما فيه ، بسبب مداينته للمشار إليهم " هذه الصرر كانت تصل من ريع الأوقاف الحكمية حديثه المخصصة لهم في مصر في ذلك العصر [٩٠] وهي نفسها التي أشار إليها عمدة مؤرخي المملوكي في مصر في " بمصر القاهرة ويلي هذه الجهة قاضي الشافعي وفيها ما حبس على الحرمين الشريفين .. ويقال لمن يتولى هذه الجهة ناظر الأوقاف .. هذا الديوان فيه كُتاب وجباه وكانت جهة عامرة يتحصل منها لأهل الحرمين أموال عظيمة في كل سنة من مصر إليهم مع ما يثق به من قاضي القضاة وتفرق هناك " [٩١] ويؤكد السخاوي أن أموال الصرر هذه كانت تصل إلى أرباب الوظائف المختلفة صغيرهم وكبيرهم في المدينة باستمرار حتى نهاية العصر المملوكي [٩٢] . وينبغي أن نشير إلى أن كثيراً من سلاطين وأمراء المماليك في مصر طوال العصر المملوكي قد خصصوا جزءاً كبيراً من أوقافهم على أهل الحرمين الشريفين ، وغالب هذه الأوقاف كانت إما منشآت أو عقارات أو أراضي زراعية وغيرها [٩٣] .

هذه المرتبات أو أموال الصرر ظلت طوال العصر المملوكي الأول وكذلك العصر المملوكي الثاني أي عصر الجراكسة بالرغم مما كانت تعانيه مصر من أزمات

اقتصادية بسبب استنزاف مواردها الاقتصادية في الحروب الكثيرة التي خاضتها ضد المغول من جهة وضد الصليبيين من جهة أخرى ، وفي مواجهة أخطار الحصار الاقتصادي الذي فرضته القوى الأوروبية بعد أن تم طرد الصليبيين من بلاد الشام ، وأخيراً ضد الخطر البرتغالي ، لكن من الملاحظ أن هذه الأموال لم تتأثر كثيراً إلا في العصر العثماني حيث قل مقدارها " وصار يصرف على حكم الربع أو الخمس لضعف الأوقاف المصرية بالاستيلاء عليها من دخول الآكلة فيها " ، أي الأتراك العثمانيين [٩٤] .

ولم يكن ما يصل إلى مصر إلى أرباب الوظائف قاصراً على هذه الأموال ، بل تشير بعض المصادر المعاصرة إلى أنه كان يصلهم أيضاً " الركب الشريف الكسوة والأردية والهبات " [٩٥] ويوضح لنا أمير ركب الحاج المصري أن هذه الملابس كانت عبارة عن قفاطين خاصة مذهبة ومنها ما هو من الجوخ ، بالإضافة إلى بعض الأثواب البعلبكية والسكندرية والفوط من الحرير والمناديل السكندرية [٩٦] أيضاً . كذلك تصلهم مقادير كبيرة من القمح سنوياً يرسلها سلاطين وأمراء المماليك ، مثال ذلك ما أشارت إليه بعض المصادر من أن السلطان الظاهر بيبرس " أجرى على أهل الحرمين والحجاز وأهل بدر وغيرهم ما كان انقطع في أيام غيره من الملوك " [٩٧] وأن السلطان الأشرف قايتباي وقف قرى كثيرة بمصر تحمل غلاتها إلى أهل المدينة المنورة ، فيفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة ، فكانت حصة كل نفر سبعة أرادب في العام ، سوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد ، هذا الخير ظل جارياً إلى أواخر العصر المملوكي [٩٨] ، إلا أنه في العصر العثماني منع وصول هذا الحب بدليل قول أحد المؤرخين المعاصرين " وإن تصدوا أصحاب هذه الوظائف بشيء في بعض السنين فعلى حد قول الممتثل من الشاه أذنها فالحكم لله العلي الكبير " [٩٩] . ويشير السخاوي إلى أن كثيراً من سلاطين المماليك فقد أوقفوا المخابز في المدينة لتمد أصحاب الجامكيات من العلماء وطلبة العلم والقائمين على العمل في المؤسسات

الدينية والثقافية وغيرها بل والمجاورين بالخبز ، ومن هذه المخابز يذكر لنا " المخبز الأشرفي بالمدينة " والذي تولى الشهاب النشوي القاهري توفي سنة ٩٢٠هـ وظيفة الكاتب بهذا المخبز [١٠٠] .

ولم تكن مصر وبلاد الشام فقط هي المصدر الوحيد لهذه الأوقاف في العصر المملوكي ، إذ تشير بعض المراجع المعاصرة إلى مصادر أخرى من العالم الإسلامي ، فقد جاء في ترجمة الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن عمر بن البنا أنه توجه وكيلاً عن شيخ الخدام بالمسجد النبوي الشريف وأهل المدينة في استخلاص أوقافهم ببلاد العجم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة أو التي بعدها [١٠١] . وجاء في نفس المصدر ما يفيد أنه كانت هناك أوقاف عديدة للمساسفة أهل مسوف من بادية المغرب الأقصى حبسها أصحابها على المجاورين في المدينة المنورة وبخاصة من المغاربة [١٠٢] ما يذكر لنا المصدر نفسه أن كثيراً ممن تولوا بعض الوظائف الدينية في المسجد النبوي الشريف أو غيرهم وبخاصة من الخدام الطواشية قد أوقفوا الكثير من العقارات والنخيل في أنحاء متفرقة من المدينة وبجوارها على طلبة العلم والعلماء والمؤسسات الثقافية في المدينة المنورة طوال العصر المملوكي [١٠٣] .

اختيار الكتب وتزويد خزانة الكتب بها :

مما لاشك فيه أن مؤسس المدرسة كان يوقف مجموعة من الكتب على خزانتها مثلما حدث وسبقت الإشارة إليه ، هذه المجموعة من الكتب اختلفت في كثرتها وقلتها حسب مركز الواقف الاجتماعي والمالي ، كما أنها اختلفت في نوعها حسب مذهبه وميوله في جمع الكتب ، ومن المرجح أنه كان لخازن الكتب في المدرسة دور في اختيار بعض الكتب وتزويد خزانة الكتب ، وكما كان الحال في بعض المدن المملوكية الأخرى وهي مهمة كانت من أهم أركان العمل المكتبي وأخطرها [١٠٤] .

صفوة القول أن المدارس في المدينة المنورة وغيرها من المؤسسات الثقافية كانت حاملة بكثير من خزائن الكتب الزاخرة بالكتب القيمة والتي أوقفها حكام المسلمين من سلاطين وملوك وأمراء وغيرهم ، فقد أوقف السلطان الأشرف قايتباي مجموعة ضخمة من الكتب على مكتبة مدرسته التي أنشأها في المدينة المنورة ، وبقيت هذه المكتبة عامرة بالكتب حتى بعد قيام الدولة العثمانية بنصف قرن فقد زارها مؤرخ مكة قطب الدين النهروالي سنة ٩٧٦هـ حيث قال : " وكان نزولي في خزانة كتب الأشرف قايتباي رحمه الله " [١٠٥] وكانت مقتنيات هذه المكتبة في تزايد مستمر وإذ يذكر السخاوي أن مؤرخ المدينة الشيخ السمهودي كان يشرف على هذه المكتبة وعندما قام الأمير داود بن عيسى بن عمر شيخ عرب هواره بصعيد مصر بزيارة المدينة المنورة أثناء حجه وقف عدة كتب مثل كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري سلمها للشيخ السمهودي ليضمها إلى خزانة الكتب في المدرسة الأشرفية [١٠٦] ، أو بعبارة أخرى أن الهبات والهدايا التي كان يقدمها بعض السلاطين والأمراء والحكام والعلماء وغيرهم كانت إحدى الوسائل الهامة في تزويد خزانته بنفائس الكتب لينتفع بها بعض الطلبة والمدرسين مما يدل على وجود وعي مكتبي عند الواهبين أو الواقفين في ذلك العصر ولقد أثرى كثير من علماء الأقطار الإسلامية الذين وفدوا على المدينة المنورة أو جاوروا بها زمناً في الحياة الثقافية بما زودوا به خزائن كتب المدارس المختلفة من مؤلفاتهم أو مجموعاتهم الخاصة ، نذكر منهم على سبيل المثال الشيخ برهان الدين أبا إسحاق الرواشي نزيل المدينة المنورة (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م) والذي " كانت له كتب جلية في الفقه والأصول والحديث واللغة وغيرها وقف بعضها بالمدرسة الشهابية من المدينة " وكذلك الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي أبا العباس المصمودي المغربي المالكي نزيل المدينة المنورة " ورأيت بخطه على شرح ابن الحاجب لابن عبد السلام : أنه وقفه على المالكية بالمدينة المنورة في السنة المذكورة سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م [١٠٧] .

كذلك كان لكثير من علماء المدينة المنورة دورهم الفعال في تزويد خزائن الكتب بنفائس المؤلفات التي وضعوها في ذلك العصر ، نذكر منهم على سبيل المثال الشيخ السمهودي المشرف على خزانة الكتب بالمدرسة الأشرفية قايتباي ، والذي وجد في مكتبتها وفي غيرها من المكتبات زخيرة من المؤلفات في تاريخ هذه المدينة الكريمة ، فأكب عليها قراءة واستعناها واستخلصها وحاول يقدم للقارئ خلاصتها ، وتم له ذلك من خلال مؤلفاته عن المدينة المنورة، وهو في عمله هذا لم يقف عند حد الاستصفاء أو الاستخلاص والاختصار ، بل قام مقام الناقد المحقق الباحث شأنه في ذلك شأن العلماء المحققين الذين لا يقفون عند درجة الجمع ، وتقديم النقول ، بل يضيفون إلى ذلك ميزة التحقيق والتصحيح والنقد وبيان الوجه الصحيح من غيره وهو لم يكتفي بمصادره التي اعتمد عليها ، بل حاول الوقوف على كل ما استطاع الوقوف عليه من الآثار داخل المدينة المنورة وما بقربها من محاولة تقديم صورة واضحة للموقع أو المكان من مختلف النواحي، وهو يستعين في ذلك في بعض الأحوال بما يتخذه علماء الآثار من الوسائل ، فهو يسجل ما هو مكتوب وهو يصف نوع البناء للموضع ، وهو يحدد المسافات بينه وبين أشهر المواضع المعروفة ، وهو يوضح بين ما يذكره بناء على ما شهده وما يورده من مصادر من خلاف ، حسبما يراه صواباً [١٠٨] . ولم تقف مؤلفاته عند التاريخ للمدينة المنورة ، بل ألف في الفقه وفي غيره من العلوم ، فقد ذكر له السخاوي أسماء ٣٨ مؤلفاً بين رسالة وكتاب ، ومع أن كثيراً من مؤلفاته احترقت إلا أن ما بقي منها يعتبر ثروة قيمة [١٠٩] .

كما ينبغي أن نشير إلى خزائن الكتب في المدارس المالكية بوجه خاص ضمت الكثير من كتب الأحاديث النبوية وكتب الفقه ، وحرص كثير من كبار علماء المذهب المالكي في شتى بقاع العالم الإسلامي على تزويدها بأنفس الكتب من مؤلفاتهم استمرار مثلها مثل مكة المكرمة طوال العصر المملوكي [١١٠] .

ومن المرجح أن الحال هو الحال بالنسبة لخزائن كتب مدارس المذاهب الأخرى التي وجدت في المدينة المنورة مستمرة سواء كان ذلك عن طريق المجموعات التي يحبسها صاحب المدرسة على خزانتها أو عن طريق الهدايا والهبات أو عن طريق النسخ والشراء ، فالمهم أن خزائن الكتب ظلت تحصل على كل جديد من الكتب يتم إصداره في العالم الإسلامي بطوله وعرضه [١١١] . يضاف إلى هذا باب آخر من أبواب التزود بالكتب ألا وهو التركات إذ جرت العادة عند موت أحد كبار العلماء وليس له وريث أن يذهب ما لديه من مجموعات من الكتب إلى المدرسة التي كان يدرس بها حسب وصيته ، أما إذا مات وعليه بعض الديون ، أو أن يقوم ورثته ببيع ما بحوزته من كتب فعندئذ كانت تباع بطريقة المزايدة وعادة ما يجتمع نظار الأوقاف على المدارس ضمن من يجتمع من المهتمين بالكتب واقتنائها للمزايدة على شراء هذه الكتب ، وفي كثير من الأحيان كان الحاضرون يغالون في أثمان هذه الكتب كسبيل للحصول عليها ، وتزويد المؤسسات الثقافية بها [١١٢] .

كذلك ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن نوع الدراسة المقررة في المدرسة هي التي كانت تتحكم في اختيار أحسن وأهم الكتب المناسبة لمجموعات المكتبة وكذلك رغبات الواقفين ، وربما مطالب المدرسين والمعيدين والطلبة المنزلين بالمدرسة وحاجتهم إلى كتب معينة للبحث والدراسة سواء تم ذلك بواسطة الواقف أو الناظر أو خازن الكتب ، وحسب ريع الوقف في كل عام ، هكذا كانت الخزائن في المدارس تزود بمختلف الكتب التي تحتاج إليها حتى أن بعضها كان يتكرر منه النسخ لأهميته ولإرضاء القراء [١١٣] .

أسواق الكتب :

كان من نتيجة ظهور المدارس بالمدينة المنورة أن وجدت أسواق ومتاجر للكتب كانت تفيض بالحياة والحركة ، حيث يفد إليها العلماء وطلاب العلم من كل مكان إما للشراء أو القراءة والاطلاع ، من هذه الأسواق سوق الوراقين والتي قام

على العمل بها مجموعة كبيرة من المشتغلين ببيع وشراء الكتب في حوانيتهم يساعدهم فيها مجموعة من النساخين الذين ينسخون لهم نوادر الكتب المخطوطة ومجموعة أخرى من الدلالين أو سماسرة الكتب . وهناك في المصادر التي بين أيدينا بعض الإشارات عن هؤلاء نذكر منها " محمد الحريري البصري الأصل .. أدب الأطفال ، ثم صار يبيع الكتب ، مات في ذي القعدة سنة أربع وخمس وثمانمائة " (١١٤) وسعيد بن محمود بن أبي بكر الكوراتي " زلال كتب " مات في نصف سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة بالمدينة المنورة " (١١٥) .

ولقد لعبت أسواق الكتب هذه دوراً بارزاً في مجال الكتب والمكتبات طوال ذلك العصر، وإن كانت المصادر التي بين أيدينا قد ضمنت بيان ذلك ، إلا أن وجود أمثال تلك الإشارات السابقة وغيرها يمكن أن يفيدنا إلى أنه في دكاكين هؤلاء الوراقين كان يجلس بعض مثقفي ذلك الزمان لقراءة ما وصل من المؤلفات الجديدة والتي كانت تصل بصحبة أحد العلماء وطلبة العلم من غير الميسورين كان إذا أعجبه كتاب وليس لديه من أموال يدفعه في شرائه ربما لجأ إلى ما كان يلجأ إليه أمثاله من دفع مبلغ من المال زهيد لصاحب دكان الوراقة ليسمح له بالمبيت فيه ومطالعة هذا الكتاب ودراسته (١١٦) . وجدير بالذكر أن الأسواق الخاصة بالكتب هذه يمكن القول أنها كانت تشبه ما يقوم عصرنا الحالي من معارض تعرض فيها الكتب بصفة مؤقتة ، لكن هذه الأسواق كانت لها صفة الدوام ، وكانت مجمعاً لأهل العلم والفضل والأدب يترددون عليها ، والحقيقة أن تجارة الكتب والوراقة ظلت مزدهرة في هذه الأسواق التي كانت مراكز للنسخ وللتجليد أيضاً ، وذلك تبعاً للنشاط الثقافي الكبير الذي شهده العصر المملوكي بشقيه . ويمكن القول أن ازدهار الحياة العلمية في المدينة المنورة في ذلك العصر قد هيأ فرصة قيام تجارة نشطة في الكتب لم تكن لتقوم في العصر الوسيط بدون هذه المدارس أو الكليات الجامعية (١١٧) .

وقد حددت كتب المعاصرين من الفقهاء لصاحب دكان الوراقة ودلال الكتب الأمور العامة التي يجب أن يسير عليها في معاملاته اليومية إذ كان من حقه " ألا يبيع كتب الدين لمن يعلم أن يضيعها أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها ، وألا يبيع شيئاً من كتب أهل البدع والأهواء وكتب المنجمين والكتب المكذوبة ، كسيرة عنترة بن شداد وغيره ، ولا يحل له أن يبيع كافراً مصحف ولا شيء من كتب الحديث والفقه " [١١٨] .

المكتبات الخاصة ومكتبات العلماء :

لم يقتصر وجود خزائن الكتب على الحرم النبوي الشريف أو المدارس في العصر المملوكي ، بل وجدت مكتبات أو خزانات خاصة كثيرة في المدينة المنورة طوال ذلك العصر الذي تميز بالغنى والثراء ، إذ تشير كثير من المصادر المعاصرة إلى أنه كان لدى أغلب العلماء والأدباء والفقهاء من سكان المدينة المنورة خزانات كتب حافلة بمختلف المجموعات النادرة والثمينة وأنهم كانوا يتبارون في جمعها والعناية بها عناية جعلتهم ينشئون لها الخزانات المكتبية ويبذلون في جمعها الأموال الكثيرة ، ويشير أحد المؤرخين المحدثين إلى أن جمع الكتب واقتنائها كان يملك عليهم شغاف قلوبهم ، فلا يهنأ لهم عين ولا يهدأ لهم بال إلا بالعكوف عليها ومسامرتها طوال الليل ، كما من السهل عليهم أن يتحملوا في سبيل الحصول عليها عناء الرحلات الطويلة ، ومشاهد التجوال ، بل لم يكن غريباً أن تجد أحدهم يقيم مناحة حينما تعذر عليه الحصول على مجلد كتاب [١١٩] ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة التي تدل على مدى الاهتمام بالكتب وتحصيلها .

فمن علماء المدينة المنورة يذكر لنا السخاوي الشيخ ابن الريس ويعرف بأبي الفتح إسماعيل (ت٨٦٢هـ/١٤٥٧م) فعندما أرسل السخاوي بأحد مؤلفاته إلى المدينة المنورة عقب الانتهاء من تأليفه وهو كتاب " القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ﷺ " وقع منه موقعاً عظيماً وقام بتقريظه وبالغ في ذلك ، وأرسل إلى السخاوي بعرفه بأنه مداوم على قراءته ، وأن يسمعه لغيره من علماء المدينة

وطلاب العلم بها [١٢٠] . وهذا يعكس لنا مدى حرص علماء هذه البلدة الشريفة على الوقوف على أحدث ما أنتجه علماء الأقطار الإسلامية من مؤلفات ، والتعليق عليها ومن علماء المدينة الشيخ شرف الدين أبو الفتح محمد بن أبي بكر المراغي (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) أحد كبار مشايخ المدينة المنورة في الفقه والنحو والحديث ، جاور بمكة المكرمة زمناً طويلاً وتتلمذ على يديه كثير من مشاهير علمائها في ذلك العصر " اقتنى جملة من كتب " [١٢١] ومن كبار علماء المدينة المنورة الشيخ العلامة " عبد الله بن حجاج أبو محمد المغربي (ت٧١٠هـ/١٣٠٩م) الفلسفي المنطقي الحكيم .. جمع من غرائب الكتب وأنفسها أحمالاً ، وصرف في تحصيلها وتصحيحها أعماراً وأموالاً ، وحاز من الأصول الفاخرة صناديق وسلالاً وجلها كتب الحديث والفقه والتاريخ والطب والمنطق والحكمة وعلوم أخرى شتى " علي بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ/١٥٠٣م) والذي سكن المدينة المنورة منذ عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م ألف عدة تآليف عن تاريخ المدينة المنورة وفي الفقه وغيرها من العلوم ، وحصل كتباً نفيسة احترقت كلها وهو بمكة في سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م والتي بلغ مجموعها ما يزيد على ثلاثمائة مجلد [١٢٢] .

وجدير بالذكر أنه منذ بداية العصر المملوكي شهدت بلاد الحجاز بوجه عام والمدينة المنورة بوجه خاص حركة هجرة واسعة النطاق ، نتيجة لما ألم بالعالم الإسلامي في الشرق من غزوات المغول من زعزعة كيان كثير من البلدان الإسلامية التي اجتاحوها ، وكذلك ما كان يحدث في المغرب العربي وبخاصة بلاد الأندلس تحت اسم ما عرف بحركة الاسترداد المسيحية وطرد المسلمين ، وقد كانت المدينة المنورة لها جاذبيتها الخاصة عند مثقفي ذلك الزمان ، وازدادت حركة الهجرة هذه بعد القرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد ، وأصبح من يسمون بالمجاورين يشكلون ظاهرة يشار إليها بالبنان عند دراسة سكان الحجاز بوجه عام والمدينة بوجه خاص ، وامتد مد المجاورين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين [١٢٣] .

ويهمنا أثر هؤلاء المجاورين في الحياة المكتبية بوجه خاص ، والذي أنعكس في كثير من النواحي ، لعل في مقدمتها شيوع نوع من التأليف وهو ما عرف باسم " التذكرة " وهي كتب يدون فيها العالم أو الأديب ما يحتاج أي بتسجيله دون ترتيب معين ليرجع إليه عند حاجته ، ثم أصبحت كتباً تداولها الدارسون ، ونقل عنها المؤلفون ، والتذكرة تضاف عادة إلى اسم كاتبها فيقال تذكرة العلامة فلان ، وشمل النشاط التأليفي العلوم العربية والإسلامية من نحو وصرف وأدب وتفسير وحديث وتاريخ وتراجم وغيرها . وكان التركيز على العلوم العربية الإسلامية ، وضرب سكان المدينة صفحاً عن علوم الفلسفة إلا بعض الآعاجم [١٢٤] ، ولقد كان للكثير من هؤلاء شغف واضح باقتناء الكتب وتأسيس مكتبات خاصة بهم ، نذكر منهم على سبيل المثال محمد بن محمد الغرناطي نزيل المدينة المنورة الشريفة (ت٧٥٤هـ/١٣٥٣م) والذي استقر مؤذناً بالحرم الشريف وأميناً على الحواصل واشتهر بالعفة والمعرفة وتأثل بالمدينة مالاً فكان يصل به أقاربه .. فلما مات وجدوا له مالاً طائلاً ووقف كتبه وأعتق أرقاؤه " [١٢٥] . ومنهم الحسن المسوفي التكروري ، هاجر إلى المدينة المنورة فجاور بها حتى مات ودفن بالبقيع وكانت مجاورته في عشر الستين وسبعمائة . وكان معتبراً ذا نعمة ، محباً في الصالحين والعلماء ، واقتنى شيئاً من كتب العلم [١٢٦] .

كذلك نذكر منهم " أيوب المغربي .. له مكان موقوف بالمدينة المنورة وقف عليه بعض الكتب سنة سبع وأربعين وثمانمائة " [١٢٧] ومنهم أيضاً " العالم الشهير الفيروزآبادي صاحب كتاب القاموس المحيط والذي قضى فترة طويلة من حياته في الحجاز متنقلاً بين مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف حتى توفي بها سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م " كان قد حوى من الكتب شيئاً كثيراً وأذهبها بالبيع وما وجد له بعد موته منها ما كان يظن به " [١٢٨] .

هناك نقطة هامة وهي أن خدام المسجد النبوي الشريف قد كان لهم ولع كبير في ذلك العصر باقتناء الكتب ، نذكر منهم على سبيل المثال " رشيد بن عبد الله

شهاب الدين السعيدي، أحد الخدام بالمسجد النبوي الشريف ، كان فقيهاً متديناً متعبداً ، يصحب العلماء ويأخذ منهم ويشتري كتب العلم ويوقفها عليهم ، وله خزانة جيدة ، كان فيها كتب غريبة ، أعرضها في دار الزيات ، وله رباط ودور ، وقفها بعد أن تعب في عمارتها وإنشائها ، بحيث كان له من اسمه نصيب ، قال ابن فرحون وذكره المجد ، فقال .. " وكان مولعاً بشراء الكتب المليحة ، وكان له خزانة بدار الزيات تحتوي جملة من الكتب العربية الصحيحة وله بالمدينة رباط ودور موقوفة جهلت أماكنها بعد أن كانت معروفة " [١٢٩] .

وجدير بالذكر أن حب هؤلاء للكتب وإنشاء المكتبات الخاصة لم يقتصر على مجرد الاستحواذ على هذه المؤلفات الثمينة للكثير من علماء العالم الإسلامي، والاطلاع عليها وتقريظها فحسب ، إنما تعدى ذلك إلى كتابة كثير من التعليقات والحواشي والإضافات على ما جاء بها من معلومات كانت على جانب كبير من الأهمية لكل من اطلع على هذه الكتب سواء كان معاصراً لهم أو ممن جاء بعدهم وحتى من قام بنشر ذخائرهم فيما بعد محققين ودارسين [١٣٠] ، كذلك ينبغي أن نشير إلى أن الكثير من هذه المكتبات الخاصة بعلماء ذلك العصر ولم تكن قاصرة على الكتب ، بل أنها اشتملت على كثير من المشيخات وهي عبارة عن مجموعة من الكتيبات الصغيرة التي يذكر منها العالم منهم أسماء المشايخ الذين تتلمذ عليهم ، وأنواع العلوم المختلفة التي درسها وربما يذكر أيضاً سنين الدراسة ، والبلاد التي سافر إليها للتحصيل وغير ذلك من الأمور الهامة ، كذلك اشتملت مكتباتهم على بعض الإجازات العلمية وهي تشبه الشهادات في عصرنا الحالي ، والتي نالوها على أيدي كبار مشايخ ذلك العصر في العلوم المختلفة وفروعها [١٣١].

إن حب هؤلاء للكتب والمكتبات كان قد بلغ حداً يفوق الوصف ، لدرجة أن بعض هؤلاء العلماء عندما ينتقل بين الحرمين الشريفين فإنه كان يكتفي بماله في البلد التي يسافر إليها من كتب ، ولا يستصحب معه كتباً في سفره ، نذكر من هؤلاء نزيل الحرمين الشريفين محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي أبا عبد الله العلامة

المفسر شرف الدين المعروف بابن أبي الفضل المرسي السلمي الذي يحكى عنه " أنه كان له في البلاد التي ينتقل إليها من الكتب بحيث أنه لا يستصحب كتباً بماله من الكتب في البلد الذي يسافر إليها " [١٣٢] بل لقد بلغ عدد الكتب النادرة عند بعضهم حداً كبيراً لدرجة أغرت الكثيرين على التنافس على شرائها منه وعرض أعلى الأسعار لها ، ولنضرب على ذلك مثلاً بالشيخ محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المعروف بالوانوغي (ت٨١٩هـ/١٤١٦م) والذي " كان حوى كتب كثيرة ودنيا فيها سعة بالنسبة إلى مثله فأذهبها بتسليفها لمن لا يتيسر من كثير خلاص لفقره مع معرفته بحاله ، ولكن بحمله على ذلك ما يلتزم له به المتسلف من الربح الكثير ، وما حصل له من ذلك إلا اليسير ، واتفق له في طلب ذلك ما لا يليق بأهل العلم من كثرة التردد للباعة للمطالبة وإعراض بعضهم عنه فيحال طلبه واتفق له ذلك بالحرمين " [١٣٣] .

ومما لاشك فيه أن الفضل يرجع إلى هذه المكتبات المختلفة في صيانة وحفظ الكثير منه مخطوطاً ، أو مما تشتت في مختلف البقاع حيث لا تزال مكتبات الاستانة تضم مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية القيمة ، ونالت المكتبات الأوروبية كثيراً من روائع المخطوطات وغيرها مما تسرب إليها بطريقة أو بأخرى أو مما لا تزال تحتفظ به بعض الأسرات العلمية في المدينة المنورة مما توارثته عبر أجيال مضت على أن وجه الأهمية أن تقرر أن المدينة المنورة طوال العصر المملوكي شهدت حركة مكتبية مزدهرة ساهمت فيها خزائن الكتب سواء في المسجد النبوي الشريف أم الربط والخوانق والزوايا والمدارس وخزائن العلماء بدور فعال ، وأنها قد بلغت درجة كبيرة من حسن التنظيم والإدارة ما جعلها تتميز على كثير من مكتبات الغرب الأوروبي ، وأن مكتبات الاستانة وغيرها من المكتبات العالمية الأوروبية تذخر بذخائر الكتب العربية ونفائس المخطوطات الإسلامية التي جعلتها مراكز علمية يتطلع إليها الباحثون منا في نهم وشوق يمزجها غير قليل من الحسرة والآسى على تراث الأجداد العابر [١٣٤] .

خزائن الكتب في الربط والزوايا والخانقاوات :

ومن الثابت تاريخياً أن خزانة الكتب في المدينة المنورة في عصر سلاطين المماليك لم تلحق بالمسجد النبوي والمدارس بأنواعها فحسب وإنما ألحقت بكثير من بيوت الصوفية والتي عرفت تحت اسم " الزوايا " أو الربط أو الخانقاوات والتي كانت منتشرة في كثير من أنحاء المدينة المنورة والتحق بها كثير من طلاب العلم ومشايخ العلم حتى بلغ مجموعها حول المسجد النبوي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر للميلاد أكثر من أربعين رباط [١٣٥] . فقد أسهمت هذه الأربطة في نشر الحركة العلمية وتلقى فيها طلبة العلم الكثير من العلوم على أيدي علماء أجلاء فمن تلك الأربطة رباط " دكاله " ويطلق عليه رباط المغاربة وسكنه الكثير من طلبة العلم والعلماء مثل العالم عبد الواحد الجزولي (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) واشتهر بغزارة علمه في الحديث والقراءات وكان مكباً على العلم ونسخ الكتب بهذا الرباط [١٣٦] . وأيضاً سعد الله بن عمر بن محمد الشافعي المجاور بالمدينة المنورة وقام بالتدريس في رباط المغاربة ، وكان من طلبته النور علي بن محمد بن موسى المتوفى سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م [١٣٧] .

وأيضاً رباط الأصفهاني بالمدينة المنورة الذي سكنه الشيخ يوسف بن حسن الزرندي وأثنى عليه ابن فرحون لغزارة علمه وسعة خلقه وحبه للخير [١٣٨] .

ومن خلال ما سبق يتضح أهمية المكتبات ودورها الذي لعبته في إثراء الحركة العلمية في العصر المملوكي عن طريق توفير الكتب وأهميتها ونفعها في تثقيف وتعليم أجيال الأمة الإسلامية كما كان لها دور في تنوع المعرفة وتطورها من قبل المدرسين والدارسين كما ساهم الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء الأجلاء ممن اشتغل بمعاينة الكتب ونسخها واختبارها وبذلك يتضح مدى اهتمام علماء المسلمين وأمراؤهم وسلاطينهم بتوفير خزائن الكتب وما تحتويه من كتب نفيسة في مختلف فنون العلم ووقفها على طلاب العلم حتى تعم فائدتها جميع المسلمين ويحصل لهم ثواب الدنيا وأجر الآخرة .

الهوامش

(١) Thomson : The Medievol librony , chicogo 1939 p . 368

(٢) الصياد : فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص٢٨١ .

(٣) رشيد الدين : فضل الله بن عماد الدولة (ت٧٠٨هـ) ، جامع التواريخ ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ج١ ، ص٣١٣ .

(٤) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص١١ .

(٥) ابن جماعة : بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت٧٣٣هـ) ، تذكرة السامع والمتكلم ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٩٣٨م ، ص١٩٣ .

(٦) السبكي : تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب ، ت٧٧١هـ ، معيد النعم ومبيد النقم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨م ، ص ١١١ ، ١١٣ .

(٧) إبراهيم أحمد حسن كيفي : المكتبة ودورها في المجتمع ، الرئاسة العامة لرعاية البنات ، الرياض ، ١٤٠١هـ ، ص١٧ .

(٨) إبراهيم أحمد حسن كيفي : نفس المرجع ، ص١٧ .

(٩) إبراهيم أحمد حسن كيفي : المكتبة ودورها في المجتمع ، ص١٧ .

(١٠) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٣٦-٣٧ .

(١١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ، ص٤٧ .

(١٢) عبد اللطيف إبراهيم : دراسات في الكتب والمكتبات، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص١١، ص١٥ .

(١٣) علي السيد علي : مكتبات القدس في عصر سلاطين المماليك ، مجلة المكتبات والمعلومات العربية ، العدد ٤ ، أكتوبر ، ١٩٨٤م ، ص٨-٩ .

(١٤) ابن علي : يحيى بن الحسين بن القاسم (ت١١٠٠هـ) ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق : سعيد عاشور ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ج٢ ، ص٦٢٢ .

(١٥) ابن فهد : نجم الدين عمر بن محمد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) ، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مخطوطة مصورة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ٧٥١ تاريخ ، ورقة ٤ .

(١٦) السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، تحقيق : أسعد طروبزوني الحسيني ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ج١ ، ص٢١-٢٢ .

(١٧) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٦ .

(١٨) سعيد عاشور : مصر معبر الثقافة الإسلامية ، دار النهضة العربية الإسلامية ، ص٢٣٠ .

(١٩) التجيبي : أبو القاسم بن يوسف السبتي (ت٧٣٠هـ) ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق : عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٧٥م ، ص٤١٢ ، ص٤٣٣ .

(٢٠) ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ) ، الرحلة ، نشر دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص٧١ .

(٢١) ابن رشيد : أبو عبد الله محمد بن عامر الفهري السبتي (ت٧٢١هـ) ، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص٣٠ ، ص٣٤ .

(٢٢) العباسي : الشيخ أحمد بن عبد الحميد (ت القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي) ، عمدة الأخبار في مدينة المختار ، تحقيق : أسعد درابزوني الحسيني ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص١٢٣ .

(٢٣) ابن رشيد : ملء العيبة ، ص٢٧٠ .

(٢٤) ابن رشيد : المصدر السابق ، ص٢٧٠ .

(٢٥) العبدري : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٦٨٨هـ) ، رحلة العبدري المسماه الرحلة المغربية ، تحقيق : محمد الفاسي ، الرباط ، ١٩٦٨م ، ص١٠٢ - ص١٠٧ .

(٢٦) حمد الجاسر : مجلة العرب ، السنة الثانية ، ذو الحجة ، ١٣٨٨هـ / آزار مارس ، ١٩٦٩م ، ص٥١٣ ، ص٥١٤.

(٢٧) العياشي : عبد الله بن محمد (ت١٠٩٠هـ) ، مقتطفات من رحلة العياشي ماء الموائد ، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ج١ ، ص٢٨٤ .

(٢٨) السمهودي : نور الدين علي بن أحمد (ت٩١١هـ) ، وفاء الوفا بأخبار المصطفى ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ج٢ ، ص٩٩ .

(٢٩) النهروالي : قطب الدين الحنفي (ت٨٨٠هـ) ، كتاب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، القاهرة ، ١٣٧٤هـ ، ص٢٣٩ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٤١٠؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، ج٣ ، ص٦٤٣ .

(٣٠) الطبري : محي الدين علي بن عبد القادر الشافعي الحسني (ت١٠٧٠هـ) ، الإرج المسكي في التاريخ المكي ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ١٥٨٦ تاريخ ، ورقة ١٩٠ .

(٣١) ابن إياس : أبو المحاسن محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ، جمعية المستشرقين الألمانية ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ١٩٧٢م ، ج٣ ، ص١٩٩ .

(٣٢) السمهودي : وفاء الوفا ، ج١ ، ص٤٤١ ، ص٤٦٤ ؛ عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، المجلد الثاني ، الرياض ، ١٩٧٩م ، ص٢٥٣ .

(٣٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص٢٠٩-٢١٠ .

(٣٤) عبد الله الماجد: المكتبات في جزيرة العرب، السنة الثانية ، ربيع الثاني ، ١٣٨٨هـ / تموز ، ١٩٦٨م ، ص٨٩٤.

(٣٥) النابلسي : عبد الغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ) ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص٤٢٠ .

(٣٦) عبد الله الماجد : المكتبات في جزيرة العرب ، ص٨٩٦-٨٩٨ .

(٣٧) عبد الله الماجد : المرجع السابق ، ص٨٩٤ .

(٣٨) القلقشندي : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، ١٩٣١م ، ج١ ، ص٤٦٧ .

(٣٩) ابن دقماق : إبراهيم محمد المصري (ت٨٠٩هـ) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق ، ١٨٩٣م ، ص٩٧ .

(٤٠) المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المسماه بالخطط المقريزية ، بولاق ، ١٢٧٠م ، ج٢ ، ص٣٩٩ .

(٤١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص٦٤ ، ص٢١٢ .

(٤٢) ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتبة التجارية ، بيروت ، د.ت ، ج٨ ، ص٧ .

(٤٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١ ، ص٤٦٧ .

(٤٤) القلقشندي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٦٧ .

(٤٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١ ، ص١٩٦ .

(٤٦) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٣٨ ، ص٣٩ .

(٤٧) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص١٩١ .

(٤٨) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص٦٤ .

(٤٩) السخاوي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٩٥ ، ص١٩٦ .

(٥٠) خطاب عطية : التعليم العالي في مصر في العصر الفاطمي ، القاهرة ، ١٩٤٧م ، ص١٨٨ .

(٥١) عبد الغني محمود : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص٣٢ .

(٥٢) النهروالي : قطب الدين الحنفي (ت٩٨٨هـ) ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، ص١٣ .

(٥٣) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٤١-٤٢ .

(٥٤) الفاسي : أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ) ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج١ ، ص٥٢٤-٥٢٥ .

(٥٥) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٤١-٤٢ .

(٥٦) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص٤٠ .

(٥٧) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص٣٦-٣٧ .

(٥٨) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص٤٨ ، ص٥٢ .

(٥٩) ابن جماعة : المرجع السابق ، ص٤٨ ، ٥٢ .

(٦٠) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٣٨ .

(٦١) النويري : شهاب الدين أحمد (ت٧٣٢هـ) ، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، دار المعارف ، رقم ٥٤٩ ، ج٣ ، ورقة ١٥ .

(٦٢) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٣٨ .

(٦٣) حمد الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٧٢م ، ص٧٢.

(٦٤) السمهودي : وفاء الوفا ، ج١ ، ص٤٥٦ ، ج٢ ، ص٦٤٣ .

(٦٥) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص١٨٢-١٨٣ .

(٦٦) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص٢٩ .

(٦٧) سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٦٣هـ، ص١٤٦ .

(٦٨) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م ، ص٢٥٥-٢٥٦ .

(٦٩) السبكي : معيد النعم ومبيد النغم ، ص١١١ .

(٧٠) محمد محمد أمين : المصدر السابق ، ص٢٥٥-٢٥٦ .

(٧١) السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ، ج٥ ، ص١٤٣ .

(٧٢) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٦٨ .

(٧٣) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص٧٠-٧١ .

(٧٤) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص٨ .

(٧٥) الفاسي : أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ج٦ ، ص٥٧ ، ص٢٢٧ ، ص٤٥٧ .

(٧٦) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٢٣ .

(٧٧) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ص١٣١-١٣٢ .

(٧٨) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص٢٥٧ .

(٧٩) ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٤٨هـ ، ج١ ، ص٢٠٩ ؛ السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص١٧٧ ؛ الضوء اللامع ، ج٣ ، ص٢٤٢ .

(٨٠) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٩ ، ص٢٢ .

(٨١) السخاوي : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص١٢ .

(٨٢) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٧٧ .

(٨٣) السخاوي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٢ .

(٨٤) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٧٧ .

(٨٥) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص٧٨ .

(٨٦) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص٧٩ ، ص٨٠ .

(٧٨) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٧٩ ، ص٨٠ .

(٨٨) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص٨٠ .

(٩٨) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق ، ص٨٠-٨١ .

(٩٠) راشد القحطاني : أوقاف السلطان الأشرف شعبان بن حسين على الحرمين الشريفين ، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٥هـ ، ١٤٠٦هـ ، ص٨٠ ، ص١٠٤ .

(٩١) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت٩١١هـ ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٣٢٧هـ ، ج٣ ، ص١٦٥ .

(٩٢) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص٢٩٥ ، ص٢٩٦ .

(٩٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٧٧ .

(٩٤) محمد عبد الستار عثمان : وثيقة وقف جمال الدين يوسف الاستادار ، مكتبة جامعة القاهرة ، ص٥٨ ، ص١٨١ .

(٩٥) الطبري : محمد بن علي بن علي بن فضل (ت١١٧٣م) ، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، تحقيق : محمد محمد سليم ، رسالة دكتواره ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، ص٢١٧ .

(٩٦) عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة الأمير آخور كبير قرقجا الحسني ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٨ ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٢٤٧ .

(٩٧) الجزيري : عبد القادر بن محمد (ت٩٤٤هـ) ، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق : حمد الجاسر ، در اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ج١ ، ص٣٤٥ .

(٩٨) ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة المصرية ، ١٩٣٨م ، ١٩٩٠م ، ج٧ ، ص١١٠ .

(٩٩) النهروالي : الأعلام ، ص٢٣٩ .

(١٠٠) الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ص١٥٤ .

(١٠١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص١٧٥ .

(١٠٢) السخاوي : المرجع السابق ، ج١ ، ص٦٨٨ .

(١٠٣) السخاوي : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٧٤ .

(١٠٤) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص٢٤٣ ، ص٢٥٥ .

(١٠٥) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٤٨ .

(١٠٦) النهروالي : البرق اليماني في الفتح العثماني ، ص٣٤ .

(١٠٧) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٢٣٤ .

(١٠٨) السخاوي : المصدر السابق ، ج١ ، ص١١٣ ، ص١١٥ ، ص٢٤٢ ، ص٢٤٣ .

(١٠٩) حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة المنورة ، ص٣٢ ، ص٣٤ .

(١١٠) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٣ ، ص٣٢ .

(١١١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٧٤ .

(١١٢) سعيد عاشور : العصر المملوكي ، ص٣٤٦ .

(١١٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

(١١٤) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٤٨ .

(١١٥) السخاوي : الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص١٠٢ .

(١١٦) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص١٥٧ .

(١١٧) عمر أبو النصر : آثار الجاحظ ، ١٩٦٩م ، ص١٢-١٣ .

(١١٨) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص١٢-١٣ .

(١١٩) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ص١٤٣ .

(١٢٠) عسيلان : عبد الله عبد الرحيم ، مكتبة شيخ الإسلام في المدينة وزخائرها ، المخطوطة ، العرب ، الجزء الثالث ، السنة الثالثة ، رمضان ، ١٣٨٨هـ ، كانون الأول ، ديسمبر ١٩٦٨م ، ص٢٤٤ .

(١٢١) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص١٥٧ .

(١٢٢) ابن فهد : الدر الكمين ، ورقة ٣١-٣٢ ، مخطوطة .

(١٢٣) السمهودي : وفاء الوفا ، ج١ ، ص٥ ، ج٢ ، ص٦٢٥ .

(١٢٤) عائض الردادي: الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر ، مكتبة المدني ، جدة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، قسم ١ ، ص٨٦ .

(١٢٥) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص٣١ .

(١٢٦) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص٣٥٤ .

(١٢٧) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص٥٠٢ .

(١٢٨) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج١ ، ص٣٦٢ .

(١٢٩) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٤٠٠ .

(١٣٠) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص٦٤-٦٥ .

(١٣١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٩٦-٩٧ .

(١٣٢) محمد علي العبد : نوادر المخطوطات العربية في مكتبات المدينة المنورة ، مجلة العرب ، الجزء التاسع ، السنة الثالثة ، ربيع الأول ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ص٨٠٢-٨٠٤ .

(١٣٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٢ ، ص٨٤ .

(١٣٤) الفاسي : العقد الثمين ، ج١ ، ص٣١٥ .

(١٣٥) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية ، ص٨٥ .

(١٣٦) ابن فرحون : عبد الله بن محمد المالكي (ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م) ، نصيحة المشاور وتعزية المجاور ، تحقيق : حسين محمد شكري ، ط١ ، المدينة المنورة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ص٦٧ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج٨ ، ص٨٨.

(١٣٧) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج٢ ، ص١٢٢-٢٢٣ .

(١٣٨) ابن فرحون : نصيحة المشاور ، ص١٠٤-١٠٥ .

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة :

- ابن فهد : نجم الدين عمر بن محمد (ت٨٨٥هـ) ، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مخطوطة مصورة، جامعة الملك عبد العزيز، ٧٥ تاريخ .
- الطبري : محي الدين علي بن عبد القادر الشافعي الحسني (ت١٠٧٠هـ) ، الإرج المسكي في التاريخ المكي ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، ١٥٨٦ تاريخ .
- النويري : شهاب الدين أحمد (ت٧٣٢هـ) ، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ .

المصادر العربية المطبوعة :

- ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، د.ت .
- ابن إياس : أبو المحاسن محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٣٠هـ) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ، جمعية المستشرقين الألمانية ، القاهرة ، ١٩٦٠م-١٩٧٢م .
- ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة المصرية ، ١٩٣٨م ، ١٩٩٠م .
- ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤م .
- ابن جماعة : بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت٧٣٣هـ) ، تذكرة السامع والمتكلم ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٩٣٨م .

- ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٤٨هـ .
- ابن رشيد : أبو عبد الله محمد بن عامر الفهري السبتي (ت٧٢١هـ) ، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجه الوجهين إلى الحرمين مكة وطيبة ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار العرب الإسلامي ، ط١ ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ابن دقماق : إبراهيم محمد المصري (ت٨٠٩هـ) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بولاق ، ١٨٩٣م .
- ابن علي : يحيى بن الحسن بن القاسم (ت١١٠٠هـ) ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق : سعيد عاشور ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
- التجيبي : أبو القاسم بن يوسف السبتي (ت٧٣٠هـ) ، مستفاد الرحلة والاغتراب ، تحقيق : عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٧٥م .
- الجزيري : عبد القادر بن محمد (ت٩٤٤هـ) ، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق : حمد الجاسر ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- رشيد الدين : فضل الله بن عماد الدولة (ت٧٠٨هـ) ، جامع التواريخ ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- السبكي : تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب (ت٧٧١هـ) ، معيد النعم ومبيد النقم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨م .
- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ) :
  - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، تحقيق : أسعد طرابزوني الحسني ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
  - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

- السمهودي : نور الدين علي بن أحمد (ت٩١١هـ) ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م .
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) ، حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٣٢٧هـ .
- العباسي : الشيخ أحمد بن عبد الحميد (توفي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر للميلاد) ، عمدة الأخبار في مدينة المختار ، تحقيق : أسعد طرابزوني الحسني ، القاهرة ، ١٩٧٥م .
- العبدري : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٦٨٨هـ) ، رحلة العبدري المسماه (الرحلة المغربية) ، تحقيق : محمد الفاسي ، الرباط ، ١٩٦٨م .
- العياشي : عبد الله بن محمد (ت١٠٩٠هـ) ، مقتطفات من رحلة العياشي ماء الموائد ، الرياض ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- الفاسي : أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد (ت٨٣٢هـ) :
  - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
  - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق : فؤاد السيد ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ .
- القلقشندي : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، ١٩١٣م .
- المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المسماه بالخطط المقريزية ، بولاق ، ١٢٧٠م .
- النابلسي : عبد الغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ) ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
- النهروالي : قطب الدين الحنفي (ت٩٨٨هـ) :

- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ .
- البرق اليماني في الفتح العثماني ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

المراجع العربية المطبوعة :

- أبو النصر : عمر ، آثار الجاحظ ، ١٩٦٩م .
- أمين : محمد ، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- الجاسر : حمد ، رسائل في تاريخ المدينة المنورة ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٧٢م .
- الردادي : عائض ، الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر، مكتبة المدني، جدة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- الصياد : فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، دار النهضة ، بيروت .
- علي : عبد اللطيف إبراهيم :
  - المكتبة المملوكية ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
  - دراسات في الكتب والمكتبات ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
  - وثائق الوقف على الأماكن المقدسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، المجلد الثاني ، الرياض ، ١٩٧٩م .
- عاشور : عبد الفتاح :
  - مصر معبر للثقافة الإسلامية ، دار النهضة العربية .
  - المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٣م .
- عثمان : محمد عبد الستار ، وثيقة وقف جمال الدين يوسف الاستادار ، مكتبة جامعة القاهرة .

- عطية : خطاب ، التعليم العالي في مصر في العصر الفاطمي ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
- القحطاني : راشد ، أوقاف السلطان الأشرف شعبان بن حسين على الحرمين الشريفين ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ .
- كيفي : إبراهيم أحمد حسن ، المكتبة ودورها في المجتمع ، الرئاسة العامة للبنات ، الرياض ، ١٤٠١هـ .
- محمود : عبد الغني ، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

الدوريات :

- الجاسر : حمد ، مجلة العرب ، السنة الثانية ، ذي الحجة ، ١٣٨٨هـ/ آزار ، مارس ١٩٦٩م .
- علي : السيد علي ، مكتبة القدس في عصر سلاطين المماليك ، مجلة المكتبات والمعلومات ، العدد ٤ ، أكتوبر ١٩٨٤م .
- علي : عبد اللطيف إبراهيم ، وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسني ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٨ ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٩م .
- الماجد : عبد الله ، المكتبات في جزيرة العرب ، مجلة العرب ، السنة الثانية، ربيع الثاني ١٣٨٨هـ / تموز ١٩٦٨م .